

الدكتور إبراهيم عوض

النابغة الجعدى وشعره

١٤١٤ - ١٩٩٣ م

مكتبة لسان العرب
www.lisanarb.com

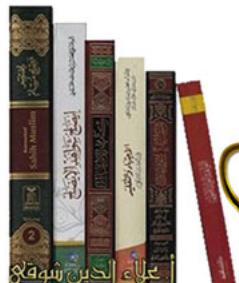
النَّابِعُ مِنْ الْجَعْدَىٰ
وَشَعْرَهُ

الدَّكْتُور إِبْرَاهِيمُ عَوْضُونُ

١٤١٤ - ١٩٩٣ م

دار النهضة العربية

٣٢ ش عبد الخالق ثروت - القاهرة



مَكْتَبَةُ
لِسَانِ الْعَرَبِ

www.lisanarb.com

رقم الإيداع / ٣٦٠٦

التاريخ ١٩ - ٠٢٠٤ - ١٩٧٧

المقدمة

تتناول هذه الدراسة حياة النابغة الجعدي وشخصيته وشعره .

وقد كانت هناك عدة مسائل تحتاج إلى بحث وتمحيص ، مثل الكلام عن تعميره ، الذي يتجاوز به بعض القدماء مائتي العام ، ومدى انسجام هذا مع قوله الشعر الجيد المتماسك وهو في أخريات حياته ، وكمسألة تحنفه ، التي تؤكدتها الروايات القديمة ويسلم بها من كتبوا عن الشاعر من المحدثين ، والتي أثبتت عن طريق تحليل وقائع حياته وملامح شخصيته وحديثه في شعره عن ذكرياته الجاهلية أنها غير صحيحة بالمرة ، وكمسألة نسبة قصيدة « الحمد لله لا شريك له » ، التي اختلف مؤرخو الأدب العربي بشأنها ، فبعضهم جعلها لأمية بن أبي الصَّلت ، وبعضهم عزّاها لشاعرنا ، وبعضهم قال إنها لنابغة بنى شيبان الشاعر الأموي المشهور ، والتي انتهيت من دراستي الفاحصة لمعانيها إلى أنها لا يمكن أن تكون إلا للنابغة الجعدي دون الشاعرين الآخرين ، وكقوله الأصمى التي ادعى فيها بأن الشعر قد لأن وضعف في الإسلام لدخوله حينذاك في أبواب الخير وبُعده من ثم عن طريق الفحول من هجاء ووصف للفرس وما إلى ذلك ، والتي اقتضتني مناقشتها الرجوع إلى كل ما

أتيح لى من دواوين الشعراء المخضرمين حتى يكون حكمى فى هذه القضية مستنداً إلى شىء، صلب وليس مجرد كلام نظري ، فتبيّن لي على ضوء ذلك أن كلام الأصمعى هو حكم بلا حيثيات ، وأنه ينافق منطق الأشياء ووضع الشعر فى ذلك العصر ، ذلك الشعر الذى أثبتُ أنه لم يدخل كله فى باب الخير حسبما يفهم الأصمعى الخير ، بل ظلَّ يتغزل ويجهو ويقذع أحياناً ويعمل على استشارة العصبيات القبلية ، وذلك إلى جانب القضايا والمعانى الإسلامية التى جاء بها الدين الجديد والتى لا تلائم بينها وبين ضعف الشعر ولينه كما ادعى الأصمعى ، إذ إنها كسائر القضايا والمعانى الأخرى من حيث إن الشاعر قد يبدع فيها وقد يتهافت ، وذلك حسب طاقته الشعرية واختياره الوقت والحالة النفسية الملائمين لإنشاء القصيدة .

ومن المسائل التى تناولتها هذه الدراسة أيضاً ما يردده الباحثون من قدماء ومحديثين من أن النابغة الجعدي كان مغلباً ما هاجى أحداً إلاَّ غُلِبَ أمامه . وقد أظهرت مناقشتي لهذه المسألة أنها مجرد كلام لا ينهض على أساس .

وقد ختمتُ الدراسة بفصل فى تقويم فن الشاعر واستخلاص السمات التى تميّزه وتجعله متفرد النكهة . والله ولى التوفيق .

حياة النابغة وشخصيته

هو من الشعراء المخضرمين الذين عاشوا في الجاهلية والإسلام . والنابغة لقبه . وقد اختلف في السبب الذي من أجله أطلق عليه هذا اللقب : فمن قائل إنه لم يسبق له أن قال شعرا قبل أن يبلغ الثلاثين ، ثم سال لسانه به فجأة فعَّلا هذا منه نبوغاً . ومن قائل إنه كان ينظم الشعر في الجاهلية ثم أرتج عليه هذا الباب ، ليعود إلى النبوغ فيه في الإسلام .

واسمها هو أيضا مختلف فيه : فهل هو حيّان بن قيس أو عبد الله بن قيس أو قيس بن عُدّس ؟ أما كنيته فأبُو ليلٍ . ونفس الاختلاف نجده حول عمره : فبعضهم يكتفى بأن يبلغه إلى مائة وعشرين سنة ، وبعض يمده إلى المائتين ، وبعض ثالث يرتفع به عن ذلك ، والبعض ينزل به إلى مائة وثمانين . لكنه على أية حال كان معمرا ، فإننا لو اكتفينا بأن عمره حين مات كان مائة وعشرين سنة لكان هذا دليلاً على تعميره . ويقول مترجموه من القدماء إنه عاصر المنذر بن محرق والد النعمان بن المنذر ، وإنه أكبر من النابغة الذبياني ، إذ لم يعمر هذا كما عُمِّر سمِّيه الجعدى . وقد رأى بلاشير في الروايات التي تتحدث عن معاصرة الشاعر لوالد النعمان بن المنذر وأنه عاش

عمراً أطول من النابغة الذي يناني مجرد أوهام ، دون أن يقدم دليلاً على ذلك (١) . إننا قد نستبعد أيضاً أن يكون النابغة قد عاش حتى جاوز المائتين أو حتى وقف عندها ، بل قد نستبعد أن يكون قد عُمِّر إلى أن بلغ مائة وثمانين سنة ، وذلك جرياً على ماخبرناه من أعمار غالبية الناس . لكن هذا شيء ، ووصف القول بأنه عاصر النعمان بن المنذر وأنه عُمِّر أطول من النابغة بأنه أوهام شيء آخر .

وإذا قمنا بعملية حسابية أساسها أنه ولد في عصر المنذر بن محرق وأنه توفي في النصف الثاني من القرن الأول الهجري ، إذ معروف أنه قد وفَد على ابن الزبير بعد أن أصبح خليفة (وكان قد بُويع له بالخلافة سنة ٦٤) تبيَّن لنا أن من غير المستبعد أن يكون قد عاش حتى جاوز أعوامه المائة بعشرين أو نحو ذلك . ذلك أن النعمان بن المنذر هذا قد ولَّ الحكم قبل مبعث النبي عليه السلام بأربعة وعشرين عاماً على ما يقول الطبرى في تاريخه (٢) . فلو أضفنا إلَى ٢٤ عاماً هذه إلى الـ ١٣ عاماً التي قضتها النبي عليه السلام في مكة بعد مبعثه ، إلى ٦٤ عاماً مابين هجرته صلى الله عليه وسلم والمناداة بابن الزبير خليفة كان عندنا مائة عام واحد . وهذا على فرض أن

الشاعر قد ولد في آخر سنة في ملك المنذر ، ووفد على ابن الزبير ثم مات في نفس السنة التي بُويع فيها خليفة . والمؤكد على الأقل أن تاريخ ميلاده كان قبل هذا التاريخ المفترض بكثير . ذلك أنه يقول في إحدى قصائده :

ومن عادة المحزون أن يتذكر
نadamay عنـد المنـذـر بنـ محـرـقـ
أـرىـ الـيـومـ مـنـهـ ظـاهـرـ الـأـرـضـ مـقـفـاـ
كـهـولـ وـفـتـيـانـ كـأـنـ وـجـوهـهـمـ
دانـيـانـ مـعـاـ شـيفـ فـىـ أـرـضـ قـيـصـراـ
وـالـإـنـسـانـ لـايـكـونـ نـديـماـ لـلـمـلـوـكـ إـلاـ إـذـاـ كـانـ عـلـىـ أـقـلـ شـابـاـ .
وـمـعـنـىـ هـذـاـ أـنـ مـنـ الـمـعـقـولـ جـدـاـ أـنـ يـكـونـ النـابـغـةـ قدـ بـلـغـ المـائـةـ
وـالـعـشـرـينـ عـامـاـ إـنـ لـمـ يـكـنـ تـجـاـوـزـهـ (٣)ـ . وـمـنـ ثـمـ فـلـاـ مـعـنـىـ
لـرـفـضـ بـلـاشـيرـ الـذـيـ مـرـتـ الإـشـارـةـ إـلـيـهـ ، وـبـخـاصـةـ أـنـ لـمـ يـورـدـ
دـلـيـلـاـ عـلـيـهـ وـلـاحـاـوـلـ أـنـ يـنـفـيـ نـسـبـةـ هـذـهـ الـأـبـيـاتـ السـالـفـةـ ، وـلـاتـكـ
الـتـىـ يـقـولـ فـيـهـ الشـاعـرـ :

وـلـقـدـ شـهـدـ عـكـاظـ قـبـلـ مـحـلـهـاـ عـنـهـاـ ، وـكـنـتـ أـئـمـ الفتـيـانـ
وـالـمـنـذـرـ بنـ مـحـرـقـ فـىـ مـلـكـهـ وـشـهـدـتـ يـوـمـ هـجـائـنـ النـعـمـانـ
وـعـمـرـتـ حـتـىـ جـاءـ أـحـمـدـ بـالـهـدـىـ وـقـوـارـعـ تـتـلـىـ مـنـ الـقـرـآنـ
بـلـ إـنـ النـابـغـةـ قـدـ قـالـ بـصـرـيـحـ الـلـفـظـ إـنـهـ قـدـ عـاـشـ مـائـةـ سـنـةـ
وـاثـنـتـيـ عـشـرـةـ . وـلـمـ يـكـنـ هـذـاـ آـخـرـ شـيـءـ قـالـهـ . وـقـدـ ذـكـرـ فـيـ ذـلـكـ
الـشـعـرـ أـنـ عـاـصـرـ اـنـتـشـارـ مـرـضـ الـخـنـانـ . وـيـقـولـ الـذـيـنـ تـرـجـمـواـ لـهـ

إن هذا المرض كان على أيام المنذر بن ماء السماء :

فن يك سائلا عنى فانى من الفتىان أيام الخنان
مضت مائة لعام ولدت فيه عشر بعد ذاك وحستان
فأبقى الدهر والأيام منى كما أبقى من السيف اليمانى
تلل وهو مأثور جراراً إذا جمعت بقائمه اليسان
وغير ذلك من الشعر ، فقد كان النابغة يكرر الإشارة إلى طول
عمره :

وقد أنكر د. شوقى ضيف نسبة مثل هذا الشعر إلى النابغة وأكيد أنه مصنوع بلاشك عليه . إلا أنه لم يعمل على أن يذكر الأسباب التي دفعته إلى القول بالنحل (٤) . والحقيقة أنه ليس من المستحيل أن يكون مثل هذا الشعر قد صُنِعَ وُنْحل للنابغة ، بيد أن عدم الاستحالة فى مثل هذه الظروف لا يكفى . ولو جربنا على هذه القاعدة فى كل أبحاثنا لرفضنا تقريراً كل شيء مجرد أنه غير مستحيل أن يكون الأمر بخلافه .

على أية حال فمن الواضح من هذه الشواهد الشعرية وغيرها أن الشاعر ظل محتفظا بقواه العقلية إلى آخر حياته رغم تعميره ، إذ لا يستطيع الإنسان أن ينظم مثل هذا الشعر وهو في تلك السن المتقدمة ولا أن يفدي على ابن الزبير بعد ذلك ويمدحه بمثل ما مدحه به النابغة إلا وهو يقظ العقل والإدراك ، نشيط

الإحساس والموهبة الأدبية .

ولعلَّ هذه النقطة في مسألة تعمير النابفة هي النقطة الوحيدة التي تتقلقل في صدرى ، إذ يبدو لي غريباً أن يظل إنسان محتفظاً بصفاء عقله وجيشان مشاعره ونشاطه موهبته الشعرية إلى هذا العمر المتأخر . ولكن ماذا يمكنني أن أفعل وهذا شعر الرجل بين أيدينا وليس ثمة سبب يدعوني إلى الشك فيه ، ولست واجداً شيئاً يمكن أن أسوّغ به أمام ضميري القول بصنع هذا الشعر ونحله للنابفة ؟ ثم من ذلك الناحل ؟ وما مصلحته في ذلك ؟ أو مادافعه إليه ؟ وهل يسوغ في العقل أن نقول إنه قد تكرر منه هذا النحل ؟ ذلك أن الأشعار التي يتحدث الشاعر فيها عن طول عمره متعددة كما رأينا .

ذلك ، وقد حُكِيت أشعار عن أناس أعلى من هذه السنّ بكثير ، مثل أنس بن مدرك ، وهو شاعر محضرم أيضاً كالنابفة . قال :

إذا ما امرأ عاش الهنية سالماً
تبلل مُرَّ العيش من بعد حلوه
ويا ذي به الأدنى ويرضى به العدا
رهينة قعر البيت ليس يرمي
رأى الصعب ذا القرنين أو زاء تُبعاً
والهنيدة هي المائة . ومعنى ذلك أنه قال هذه الأبيات وقد

جاوزها بأربعة وخمسين عاماً .

هذا ، ويبدو أنَّ صحته لم تتخاذل رغم هذه السنِّ العالية ، إذ يحكون عنه أنه لما وفد على عبد الله بن الزبير ومدحه أعطاه هذا أوساقاً من العَبَّ والتمر فكان يأخذ العَبَّ صحيحاً لم يطعن بعد ويأكله . ومعنى هذا أنَّ أسنانه كانت لاتزال سليمة . فإذا بقيت الأسنان بهذه المثانة فلا بدَّ أن تكون صحة صاحبها متماسكة على الأقل .

وقد نصَّ القدماء، نصًا على أنَّ أسنانه ظلت سليمةً رغم طول عمره ، وأرجعوا ذلك إلى دعاء الرسول صلَّى الله عليه وسلم له عندما أنشده رائيته الشهيرة عام الوفود ، إذ قال مفاخرًا بقبيلته :

بلغنا السماء، مجدنا وجدوننا وإنَّ لنبيٍ فوق ذلك مظهرا
فسألَه النبي عليه السلام مستغرباً : إلى أين يا أبا ليلي ؟ فرَدَ
في ثقة : إلى الجنة يارسول الله . فدعا له الرسول قائلًا :
لايفرض الله فاك .

وسواء، أكانت قوة أسنانه وسلامتها رغم ذلك العمر المديد
مرجعها إلى دعوة الرسول عليه الصلاة والسلام له أم كانت قوة
طبيعية (وفي هذه الحالة يكون كلام الرسول مجرد تعبير
مجازي عن شدة إعجابه بالشعر ولباقة صاحبه في الرد) (٦) ،

فإن من الصعب جدا علينا أن نقبل ماجا، في بعض الروايات من أنه بسبب هذه الدعوة كان إذا سقطت له سن نبت مكانها غيرها ، إذ إن في هذا مخالفة تامة لما نعرفه عن هذا الأمر ، فالمعروف أن الإنسان لا تنبت له أسنان بعد مرحلة الصبا ، اللهم إلا ما يسمونه « ضرس العقل » .

فإذا حاولنا استقصاء ماجا، في سيرة حياته عن أحداث تلك الحياة مرحلة لفت نظرنا أن أخباره في الجاهلية تكان أن تكون في حكم المعدومة ، ففيما عدا إشاراته السريعة والعارضة في قصائده عن منادمه مثلًا للمنذر بن محرق أو معاصرته لمرض الخُنَان وما إلى ذلك لانعثر على شيء ، اللهم إلا ما يقال من أنه كان يجلس في الجاهلية في الموسم بعكاظ فتحاكم إليه الشعراء ، فقدمت النساء يوما فأنشدته مرثيتها الرائية في أخيها صخر ، فحكم لها بأنها أفضل شاعرة في النساء قائلا : « أنت أشعر من كل ذات ثديين » ، فأجابته من فورها : « ومن كل ذي خصيتين » ، ت يريد أنها أشعر من الرجال أيضًا (٧) ، ولا أدرى مدى صحة ذلك (٨) ، وكذلك أنه كان من فكر في الجاهلية وأنكر الخمر والسكر ومانفع بالعقل وهجر الأزلام والأوثان وقال كلمته التي أولتها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فنفسه ظلما (٩)

وكان يذكر دين إبراهيم والحنيفية ويصوم ويستغفر ويتوقع أشياء
لعواقبها.

وقد نقل بعض المعاصرین ذلك الكلام نقل المصدق له :
منهم جرجی زیدان (١٠) ، والشيخان أحمد الاسكندری
ومصطفی عنانی (١١) ، والسيد أحمد الهاشمي (١٢) ،
ومحقق الديوان (١٣) ، ود. يحيی العجوری (١٤) ، ود. محمد
طاهر درويش (١٥) ، ود. عمر فروخ (١٦) ، ود. محمد
حضر (١٧) ، ود. عفیف عبدالرحمن (١٨) ، ود. محمود
حسن أبوناجی (١٩) ، ود. خلیل إبراهیم أبوذیاب (٢٠) .

والواقع أن هذه مجرد دعوى مرسلة لادليل عليها ، فشعر
النابغة يخلو مما يمكن أن يتخذ دليلاً على ذلك أو حتى يعوضه
أو يشير إليه مجرد إشارة . بل العکس هو الصحيح ، فإن في
هذا الشعر ما يدل على خلافه ، فهو يقول :

قالت أمامة : كم عمرت زمانة وذبعت من عِثْر على الأوثان !
ولقد شهدت عکاظ قبل محلها عنها ، وكنت أُعَذِّبُ الفتیان
ومن الواضح أن « كم » هنا للتکثیر لا للاستفهام ، مما
يفید أنه كثيرا ما تقرب بالقربین للأصنام . كذلك فإن في شعره
ذکراً كثيراً لشربہ الخمر في الجاهلية ، حتى في شعره
الإسلامی ، مما يدل على أنه لم يكن يشرب الخمر في الجاهلية

وبحسب بل على أنه أيضا لم يكن يجد حرجاً في الإشارة إلى ذلك حتى بعد أن أسلم . ومن هذه الأشعار قوله في قصيده التي أنسدتها بين يدي معاوية بن أبي سفيان :

وشهبا، لاتخسى القدى وهى دونه تُصْفَقْ فى راوهها ثم تُقطَبْ
شريت بها والديك يدعوا صباحه إذا مابنوا نعش دنسوا فتصويبوا
وقوله :

وقهْرَةٌ صَبَّاء، بِاَكْرَتُهَا بِجَهَنَّمَةِ الْدِيْكِ لَمْ يَنْعُبْ
لِيْسَ ذَلِكَ فَقْطُ ، فَإِنَّهُ حَتَّى فِي رَأْيِهِ الَّتِي أَنْشَدَهَا بَيْنَ
يَدِي النَّبِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ حِينَ وَفَدَ عَلَيْهِ فِي السَّنَةِ التَّاسِعَةِ لِلْهِجَرَةِ
مَعَ قَوْمِهِ إِلَاعَنَ الْإِسْلَامِ نَرَاهُ يَقُولُ :

تذكرت شيئاً قد مضى لسبيله
 نداماً عنـد المنذر بن محرق
 كهولاً وشباناً كأن وجوههم
 إذا ملك من آل جفنة خالـه
 يسرة علينا كأسه وشواهد
 دراحـاً عراقيـاً وربطـاً يمانـياً
 ومن الواضح رنة النـشوة والابتهاج والـفخر في هذه الأبيات .

كذلك فإن تشبيهه ريق حبيبته بالخمر (وأى خمر ؟ إنها : ... قرقف سلافة إسف ط عقار قليلة النَّمِ الْقِي فيها فلجان من مسك دارين وفلنج من فلفل ضرِم) ليدل على أنه بالخمر جلا بصير .

كما أن قصائده ترينا أنه كان يعيش في الجاهلية كسائر الجاهليين . يخوض معamus المعارض القبلية ويسبي النساء ويفاخر بقومه مفاحرة من لا يرى لهم في الحياة كفنا ولا نظيرها مع احتقار شديد للقبائل الأخرى . وهذا الكلام إنما تتضمنه في الغالب قصائده الإسلامية ، مما يبرهن لنا على أن هذه الروح ظلت مشتعلة لم تُحْبَ حتى في الإسلام . ورجل بهذه الشخصية من الصعب جدًا الصعب علينا أن نتصوره من المنصرفين في جاهليته دونما سبب قاهر عن عقائد قومه وعاداتهم ونهج حياتهم إلى البحث عن حقيقة الأديان . ويفيد هذا تأكيداً قوياً لشعره الفخرى والهجائي الإسلامي ، فمثل ذلك الشعر لا ينبع ، بأن صاحبه من المفكرين والمتأملين الذين يؤثرون الحياة الساكنة .

فإذا أضفنا أنه لم يتطرق في شعره إلى شيء يفهم منه أنه كان على دين إبراهيم وأنه كان نابذاً للأصنام تبين لنا أن ما قيل عنه في هذا الصدد هو كلام مجرد كلام .

كذلك فلو كان في الجاهلية على الصورة التي رسمتها لنا تلك الرواية لما تأخر في الوفود على النبي إلى أخريات حياته صلى الله عليه وسلم ، فإن شخصاً بهذا الشكل ما كان ليصبر على المجرى إلى النبي ، ولو لمجرد الاستطلاع ، اثنين وعشرين

عاماً كلها ممثلة بالأحداث والصراعات الرهيبة بين ذلك النبي ودينه من جهة وبين الكفار بأصنامهم وخرمهم وزناهم وعدوانهم وكِبْرِهم من جهة أخرى .

أما القصيدة التي أولها :

الحمد لله لاشريك له من لم يقل لها نفسه ظلماً
بما فيها من كلام عن التوحيد والبعث والجنة والنار والتقوى
والالتفات إلى آيات الكون والخلق باعتبارها دلائل على وجود الله
وقدرته وعظمته ، والتي يقول بعض القدماء إن النافية قد نظمها
في الجاهلية كما مرّ بنا فسوف نبيّن في موضعه أن الأمر فيها
لا يمكن أن يكون كذلك وأنه إنما نظمها في الإسلام .

بل إن في القصيدة اللامية التي ألقاها بين يدي النبي
بيتين يدلان بأجلٍ دليل على أنه لم يكن في جاهليته من ناحية
الدين بالصورة التي تقدمه لنا بها الرواية السابقة وأنه إنما
استطاع (بالكاد) أن يعلن إسلامه في حياة الرسول وقبل أن
يُبادره أجله :

حتى أتى أحمد الفرقان يقرئه فينا ، وكنا بغيب الأمر جهالا
فالحمد لله إذ لم يأتني أجله حتى لم يَسْتَ من الإسلام سربالا
وحتى في الرائية التي ألقاها وهو واقف بين يدي الرسول
صلى الله عليه وسلم نجده يفخر بقومه فخرا عنينا يكاد يتفجر

من عنفه ، وينقض بصواعق هجومه على خصوم قبيلته . ولو كان على دين إبراهيم عليه السلام لانصرف على الأقل إلى الكلام عن رحلة بحثه عن الحقيقة وذكر تحنفه في الجاهلية وكيف أن إسلامه كان نتيجة طبيعية لذلك .

أما قوله فيها :

وطوفتُ فی الرهبان أَعْبُرُ دینہم وسیرتُ فی الاحبار مالم تبیرا فهو بيت يتيم في ديوانه من جهة . ومن جهة ثانية فقد شرع بعده مباشرة يتذكر أيامه عند المنذر بن محرق ومنادمه له وشريه الخمر هناك ... إلخ ، مما لا يتناسب مع ذلك البيت ، وهو ما يدل على أنه ليس إلا كلاماً عابراً . ومن جهة ثالثة ، وهذا هو المهم ، فإن هذا البيت يتحدث عن الرهبان والأخبار ، وهؤلاء دينهم شيء ودين إبراهيم شيء آخر . ثم إنه يقول إنه كان ينظر في دينهم ويحاول التعرف إليه لا إنه قد استقر على دين معين ومارس شعائره . وليس في كلامه أية إشارة إلى صيام أو استغفار على حسب ماتدعى الرواية التي نحن بصدده مناقشتها .

ثم إنه يقول عقيب ذلك البيت :

فأصبح قلبي قد صحا ، غير أنه وكل أمرى، لاقٍ من الدهر قِنْطِراً وهو ما يعد اعترافاً منه بأنه كان في الجاهلية ضالاً ، فلما وف

على محمد صلى الله عليه وسلم وأمن به أفاق من هذا الضلال .
وأخيراً فإن رجلاً يقول في الإسلام لامرأة (هي ليلى
الأخيلية) ، وكانت قد ناصرت بعض أخصامه :

ألا حيئاً ليلى وقولاً لها : هَلَا فَقْدِ رَبِّكَتْ أَمْرًا أَغْرَى مُحَاجِلًا
دُعِىَ عَنْكَ تَهْجَاءُ الرِّجَالُ وَأَقْبَلَ عَلَى أَذْفَنِي يَمْلَا إِسْكَنَكَ تَيَشَّلَا
بِرِينِينَةَ بَلْ الْبَرَادِيَنْ ثَفَرَهَا وَقَدْ شَرِّيَتْ فِي أَوَّلِ الصِّيفِ أَيْلَا (٢١)
لِيْسَ مِنَ السَّهْلِ أَبْدَا عَلَيْنَا أَنْ نَقْتَنْعَ بِأَنَّهُ كَانَ مَتَحْنَفَا فِي
الْجَاهِلِيَّةِ . هَذَا ، وَنَضْرَبُ عَنِ الْإِسْتَشْهَادِ بِالْبَيْتِ الَّذِي وَرَدَ فِي
قَصِيدَتِهِ السَّابِقَةِ الَّتِي أَلْقَاهَا عَلَى مَسَامِعِ الرَّسُولِ وَأَصْحَابِهِ ،

وَنَصْهُ :

إِذَا أَنْعَطَتِ الْمُسْعَدِيَ قَبْلَ تِيرَةَ وَأَلْقَمَهُ فَاهْ فَكَانَ لَهُ جِرَأَا
لَأَنَّهُ إِنَّمَا وَرَدَ فِيهَا عَلَى إِحْدَى الرِّوَايَاتِ فَقَطْ (٢٢) ، أَمَّا
الرِّوَايَاتُ الْأُخْرَى فَلَا تَعْرَفَانَهُ (٢٣) ، وَلَمْ يَذْكُرْهُ صَاحِبُ
« الْجَمَرَةَ » ضِمْنَ الْقَصِيدَةِ ، عَلَوْةً عَلَى أَنَّ الْخِيَالَ فِيهِ يَبْدُو لِي
أَلْيَقَ بِالْعُصُورِ الَّتِي تَلَتْ صَرِّ الإِسْلَامِ لَا ذَلِكَ الْعَصْرُ .

هَذَا مَاقِيلُ عَنْ جَاهِلِيَّةِ النَّابِغَةِ الْجَعْلِيِّ ، وَذَلِكَ رَأْيُنَا فِيهِ .
أَمَّا فِي الإِسْلَامِ فَإِنَّنَا نَفَاجِأُ بِهِ عَضْوَانِي وَفَدْ قَبِيلَتِهِ الَّذِي قَدَمَ
عَلَى الرَّسُولِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَامَ الْوَفُودِ يَنْشِدُهُ رَأْيِتِهِ الَّتِي
تَكْرَرَتِ الإِشَارَةُ إِلَيْهَا ، وَمَطْلَعُهَا :

خَلِيلَ ، غُصَّاً سَاعِةً وَتَهَجَّرَا وَلَوْمَا عَلَى مَا أَحْدَثَ الدَّمْرَ فَوْ ذَرَا (٢٤)

والتي أبدى النبي إعجابه بها ودعا له ألا يُفْضِّل فوه ، مما سبقت الإشارة إليه .

وقد ذُكر أنه وفد على الخليفة الثاني عمر بن الخطاب رضى الله عنه وأنشده سينيته التي يقول في مطلعها :
لَبَسْتُ أَنَاسًا فَأَبْلَيْتُهُمْ وَأَبْلَيْتُ بَعْدَ أَنَاسٍ أَنَاسًا
وأن عمر سأله عن مدى طول عمره فأجابه بأنه عاصر ثلاثة
أجيال كل جيل ستون عاماً .

وفي عهد عثمان رضى الله عنه نسمع به وقد ضربه أبو موسى الأشعري أسواطاً لأنه خرج مع عصبة له استجابة لنداء سمعه من قومه يصيحون به على أفراد القبيلة أن يخرجوا لنصرتهم ، عندما بعث في طلبهم أبو موسى حين رعوا زرع الدولة فيما يبذلو . وقد قال شاعرنا في أبي موسى الآيات التالية مفتاظاً ، قوله كل الحق إن كان كل مافعله هو ماحكته لنا القصة :

رأيْتُ الْبَكَرَ بَكَرَ بْنَى ثَمُودٍ وَأَنْتَ أَرَاكَ بَكَرَ الْأَشْعَرِينَ
فَبَانَ يَكْنَى ابْنَ عَفَانَ أَمِينَا فَلَمْ يَبْعَثْ بَكَ الْبَرَ الْأَمِينَا
فِي قَبْرِ النَّبِيِّ وَصَاحِبِيهِ أَلَا يَا غُرْثَالَوْ تَسْعُونَا
أَلَا صَلَّى إِلَهُكُمْ عَلَيْكُمْ وَلَا صَلَّى عَلَى الْأَمْرَاءِ، فِينَا
وَنَشْهُدُهُ فِي عَهْدِ عُثْمَانَ أَيْضًا وَقَدْ أَتَاهُ يَوْدِعَهُ مَسَافِرًا إِلَى
مَضَارِبِ قَوْمِهِ فِي الْبَادِيَةِ ، فَقَدْ غَلَبَهُ الْحَنِينُ إِلَى الْوَطْنِ عَلَى

نفسه ، فذكّره عثمان رضي الله عنه بأن المهاجر لا يصح له أن يعود إلى دياره لأن ذلك مكروره . ومع هذا فقد نزل عثمان على رغبته وسمح له بالعودة إلى دياره على أن يرجع إلى المدينة مرة أخرى بعد أجلٍ ضريه له . وتمضي الرواية فتقول إنه قد مر بابني على : الحسن والحسين رضي الله عنهم وأنشدهما ميميته التي تبتدىء بقوله :

الحمد لله لاشريك له من لم يقلها فنفّسه ظلماً
أما في عهد على كرم الله وجهه فقد انضم إلى صفوف
جيشه ينصره بالسنان واللسان . وفي معركة صفين نسمعه يهتف
مشيدا به وهاجيا معاوية وبيني أمية متهم إياهم بالنفاق وداعيا
عليهم بالفشل :

قد علم المصاران والعراقُ أن علياً فحلَّها الغَسَاقُ
أبيض جعجاح له رواقُ وأمه غالى بها الصداقُ
أكرم من شُلُّ به نطاقُ إن الألى جاروكم لا أفادوا
لهم سباق ولكم سباق قد علمت ذلكم الرفاقُ
سُقْتم إلى نهج الهدى وساقوا إلى التي ليس لها عراقُ
في ملأة عادتها النفقَ

وكان معاوية ، بعد أن استقر الأمر له ، قد أمر مروان واليه على المدينة أن يأخذ أهل النابفة وماله ، فأتى النابفة معاوية وقد أعد قصيدة شديدة لاتخلو من تهديد يستنكر فيها ما وقع

من غبن عليه وعلى آله . وليس في القصيدة أى استعطاف ، على عكس ما يذهب إليه د. شوقي ضيف (٢٥) ، إذ لاشك أن الأبيات التالية ، وهى بعض أبيات القصيدة ، أبعد ماتكون عن روح الاستعطاف :

فَمَنْ رَاكِبْ يَائِسَ ابْنَ هَنْدَ بِحاجَتِي
فِيَانَ تَأْخُنَّا أَهْلَى وَمَالَى بِظَنَّةِ
صَبُورَ عَلَى مَا يَكْرَهُ الْمَرُّ، كَلَّهُ
وَلَا رَأَيْنَا أَنْكُمْ قَدْ كَثَرْتُمُو
عِرَانَا حَفَاظُ ، وَالحَفَاظُ مَهَالِكَ
فَجَنَّنَا إِلَى الْمَوْتِ الصُّهَابَيِّ بَعْدَمَا
فَلَمَ قَضَيْتُمْ كُلَّ وَتَرَ وَدَمَنَّةَ
وَأَدْرَكْتُمْ مَلْكًا خَلَعْتُمْ عَذَارَنَا
وَمَالَ السُّوَلَ، بِالْبَلَاءِ فَلَمَتُمْ
دَلَّاتَمُنَا الدَّهْرَ الْغَفُونَ ، فَانْهَى
وَأَعْلَمَ أَنَّ الْغَيْرَ لِيْسَ بِدَانِمَ
وَإِنَّ الْقَصِيدَةَ الَّتِي سَاقَهَا صَاحِبُ « الْأَغَانِيِّ » مَعَ هَذِهِ
الْقَصِيدَةِ لَدَلِيلٍ أَيْضًا عَلَى مَانِقُولَ ، فَهِيَ تَذَكِّرُ أَنَّ مَعاوِيَةَ قَدْ
ثَابَ إِلَيْهِ الرِّشَادَ وَرَجَعَ عَمَّا كَانَ أَمْرَ بِهِ فِي آلِ النَّابِغَةِ وَمَالِهِ
وَسَفَّهَ رَأَى مَرْوَانَ ، الَّذِي كَانَ يَصْرَّ عَلَى الْعَقوَبَةِ اتِّقَامًا مِنْ
النَّابِغَةِ لِمَؤَازِرَتِهِ عَلَيْتَا كَرَمَ اللَّهِ وَجْهَهُ ، قَانِلَا لَهُ : « مَا أَهُونُ ،
وَاللَّهُ ، عَلَيْكَ أَنْ يَنْجُحْرَ هَذَا فِي غَارٍ ثُمَّ يَقْطَعَ عَرْضِي عَلَىٰ ثَمَّ

تأخذه العرب فترويه ! أما والله إن كنتَ لمن يرويه . اردد عليه كل شئ، أخذته منه » (٢٦) .

ومثل هذه الأبيات عنفاً واستنكاراً بيتاه التاليان ، وقد قالهما أيضاً لمعاوية في نفس الموضوع ، وألحقهما بالقصيدة السابقة لما رأها لم تأت بالنتيجة المطلوبة :

أم تأت أهل المشرقين رسالتي ؟ وأى نصيحة لا يبقي على عُثْرٍ ؟
ملكتم فكان الشر آخر عهدم لمن لم تداركم حلمون بني حرب
وليس في ديوان النابغة أى مدح لمعاوية أو لأحد من آل
بيته ، ولكن فيه مدحًا لابن الزبير قاله فيه عندما أتاه
يستغشه لقومه من مجاعة حلت بهم . قال :

حكبت لنا الصيّق لنا ولينا وعثمان والفاروق فارتاح مُفْرِّطُم
وسوت بين الناس في الحق فاستروا فعاد صباحاً حالك الليل مظلوم
أتاك أبسو ليلي يجوب به الدجي دجي الليل جوابُ الفلاة عثثُم
لتعبر منه جانبًا نَعْنَعَتْ به صروفُ البايس والزمان المصّمُ
ولكن الغريب أنه لم يذكر اسم على مع الخلفاء الثلاثة
الآخرين الذين جعلهم مثلاً أعلى يحتذيه ابن الزبير في سيرته مع
رعايته . ولست أدرى السبب في هذا ، فقد كان الشاعر كما
عرفنا من أنصاره الأوفياء ، بل من الذين احتملوا الضّر في
سبيل هذه النصرة بعد وفاته كرم الله وجهه كما مرّ بنا . ولعلَّ
الفترة التي تولى فيها على أمور الأمة بما امتلأت به من الفتن

والقلائل والمحروب فى كل الجبهات لم تترك له الفرصة ليظهر عدله ورحمته بالرعية ، ومن ثم فلم يخطر على بال النابفة أن يذكره فى هذه النقطة مع رفاقه الثلاثة الآخرين ، رضى الله عن الجميع . أقول : « لعل » ، ولا أزيد .

وهناك أبيات يخاطب فيها النابفة زوجته ، التى كانت فيما يبدو تعارض خروجه للجهاد وتترکها هى والأولاد دون عائل يرعاهم ويعطف عليهم ، فهو يحاجتها بأن خروجه للعرب فى سبيل الله أمر حتمى أوجبه عليه الدين فلا فكاك منه . وهذه الأبيات تقول :

باتت تذكرنى بالله قاعدة والدموع ينهل من شانيهما سبلا
يا ابنه عمى ، كتاب الله أخرجنى
فإإن رجعت فرب الناس يرجعني
ما كنت أخرج أو أعمى فيعذرنى
أو ضارعاً من ضنى لم يستطع حولا
وهي تدل على أنه اشترك فى الجهاد فى سبيل الله . لكننا
لأنعرف فى أى تاريخ ، وهل كان ذلك فى عهد الرسول صلى الله
عليه وسلم أو فى عصر الصديق أو الفاروق أو عثمان أو بعد
ذلك .

وقد « قيل إن موت البعدى كان بسبب ليلى الأخيلية ، إذ
فرّ من بين يديها فمات مسافرا . والأصح أنها هى التى ماتت

فهذه أخبار النابغة التي وصلتنا . ومن هذه الأخبار قد يمكن أن نستخلص بعض سمات شخصيته : إنّه شديد العصبية لقومه ، لا يكفّ عن المفاخرة بهم والاستجابة لندائهم حتى لو كان استصرارهم ضدّ الدولة نفسها وواليها ، مما جعل أبو موسى يضرّه أسواطا . ويتصل بذلك رثاؤه الواله في أخيه . ولا أظن النابغة كان مقدماً ذا رئاسة في قومه ، وإنّما ماجر أبو موسى على أن يفعل به ما فعل ، ولا كانت هذه الحادثة لتسر بهذه البساطة .

وإن أبياته التي قالها في وجه اعتراض زوجته على خروجه للمشاركة في الغزو وتشبيتها بأنّ يبقى معها هي وأولادها لتوحّي بقوة إيمانه واندفعه في سبيل نصرة الله والإسلام ، فهو لا يلين ولا يحاول حتى تلطيف الأمر عليها ، بل يعالنها بكلّ قوّة وحسم أن ذلك أن لامراً له ، لأنّه واجب ديني ، والواجب الديني ليس فيه كلام ولا منه افکاك .

ومن الواضح أن النابغة كان يحب آل البيت حتّى خاصاً : نعرف ذلك من أنه حين أذن له عثمان بالعودة إلى دياره لبعض الوقت تخفيفاً للحنين الذي كان يعانيه مرّ بابني على : الحسن

والحسين وأنشدهما الميمية المشهورة التي سلف الحديث عنها ، وكذلك من وقوفه مع عليّ ضد معاوية . بل إنه من شدة إعزازه له كرم الله وجهه كان يأخذ بخطام بيته فى صفين وهو يرتجز بالأبيات التى أسلفناها فى الإشادة به وبكرم عنصره وهجوا بنى أمية والدعا ، عليهم .

وقد رأيناه بعد أن استتب الحال لمعاوية فأخذ ينتقم من أنصار على يفديه بقصيدة شديدة اللهجة يطلب منه أن يفك أهله وماله اللذين كان قد أمر مروان أن يأخذهما . وهي قصيدة تدل من جهة على وفائه لعلى ، إذ لم يحاول قط الاعتذار لمعاوية عن معارضته له ولو على سبيل التقية ، ومن جهة أخرى على شجاعته وصلابته . وهذه إحدى سمات شخصيته أيضا .

كذلك كان فى النابغة شىء من خشونة الbadia وصراحتها
العارية فى التعبير ، فبان فى أشعاره بعض الألفاظ والعبارات
التي يُحتشم منها ،رأيناها يقولها فى بساطة من لا يشعر فيها
بشيء يُستحيى منه . وقد ردت ليلى الأخيلية على بعض هجائه
العارى بهجا ، عارٍ مثله لم تستح هى أيضا منه ، مما سنتعرض
له لاحقا . ومن هذا الباب أيضا كلامه للخنساء بسوق عكاظ
في تقدير شعرها ، مما مرّ بنا مع جوابها عليه .

كذلك فإن أبياته التي فيها استطالة أمامة لعمره واستكثارها ما دَبَّعَ من عِتْرٍ على الأوثان لتبيين لنا أن خلة الصراحة والتعبير المباشر بما في نفسه هي من خلال شخصيته . ومثل ذلك أبياته في هجاء زوجته ، وكان قد طلقها ، فكانت تأتيه في النام ولا تتركه يهنا بعياته ، مما جعله ينظم فيها شعراً يشتمها فيه ويتهمها بها وبتصرفاتها الحمقاء في بيت الزوجية ، فهي تدل على أنه لم يكن يتخرج من نفط ما بدخلة نفسه وبيته على أبصار الناس وأسماعهم . وسوف تتعرض لتلك الأبيات فيما بعد . ومن هذا القبيل أيضاً أنه عندما أمر ابن الزيير بسوق عدة جمال له بالحَبَّ والتعر أقبل على الحَبَّ يأكله صعيحاً من الجوع أمام العاضرين ، غير منظر حتى يُطْحَنَ . وكان إذا تغير له قلب صديق أعطاه صفحه وانصرف عنه لا يبالى . هكذا قال في شعره . فهو إذن ليس من ذلك الصنف من البشر الذي يصبر إن رابه من صديقه شيء، ويسامحه مؤملاً أن يعود الود بينهما كما كان ، بل يجازى على الفتور والهجر بفتور وهجر مثله .

وعندما طال به الدهر أخذ يتحسر على شبابه الذي ولَّ ، مُذكراً فتوته واطبأه للغيد الحسان ، اللائي أصبحن الآن

يتنكبنه بعد أن صوّح زهره وجفت حضرته .

وهو لا يجد حرجاً ، أثناء استرجاعه ذكريات الماضي ، في
أن يفتخر أيضاً بشرب الخمر ومنادمة السندر بن محرب عليها ،
رغم أنه كان قد أسلم بأخرة ، أى بعد أن كانت الخمر قد
حُرِّمت (٢٨) .

الهوامش

- ١- بلاشير / تاريخ الأدب العربي / ترجمة د. إبراهيم الكنيلاني / دار الفكر / ط ٢ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م / ٥٦٣ . والملك الذي استبعد بلاشير معاصرة النابغة له هو النعمان لا أبوه . ولا أدرى السبب في هذا التبدل .
- ٢- تاريخ الطبرى / لين / ١ / ٩٠٠ .
- ٣- بل أحياناً ما نسمع في عصرنا عن أناس نيفوا على هذه السن . وعادةً ما يكونون من سكان الجبال ، وطعامهم عادة اللبن والأغذية غير المطبخة . ولعلَّ البيئة الصحراوية تشبه المناطق الجبلية في هذا : فالأطعمة غير معقدة ، والقلق المصايب للأزدحام العرائى والتقدم الحضاري غير معروف ... إلخ .
- ٤- انظر كتابه « العصر الإسلامي » / دار المعارف / ط ٧ / ١٠٢ .
- ٥- انظر السجستانى / المuron والوصايا / تحقيق عبد المنعم عامر / عيسى البابى الحلبي / ١٩٦١ م / ٤٢ - ٤٣ .
- ٦- كما أن دعاء لأحد الصحابة بـ « ترىت يداك » هو مجرد تعبير مجازي عن شدة الحث على الزواج لا دعاء عليه بالفقر (بخارى / نكاح ١١، وأبو داود / نكاح ٤٤) . ومن ذلك الباب أيضاً قوله عليه السلام لصحابي آخر : « شكلتك أمك » . وبطبيعة الحال لا يمكن أن يقصد الرسول بذلك أن يدعوه عليه بالهلاك وتشكله أمه فعلاً ، بل هو مجرد استنكار لما فعله ذلك الصحابي (البخارى / أذان ١١٧، وابن ماجة / فتن ١٢، ٢٦) .
- ٧- انظر ابن نباتة / سرح العيون في شرح رسالة ابن زيلون / تحقيق محمد أبوالفضل إبراهيم / دار الفكر العربي / ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م / ٤٢٥ - ٤٢٦ .
- ٨- يقول د. ناصر بن سعد الرشيد إن « حكم العرب في عكاظ هو النابغة الذهبياني » . ثم يتساءل بعد قليل : « هل هناك حكم أديبي غير النابغة ؟ » ليجيب بأنه « لم تذكر كتب الأدب والتاريخ اسمآ آخر غيره » ، وهو لا يُستبعد أنه كان هناك

حكام أدبيون آخرون أهملت ذكرهم الكتب (سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام / دار الأنصار / القاهرة / ط ١ / ١٣٩٧ هـ - ١٩٧٧ م - ٤٠ - ٤١) . على أية حال ، هذا هو ابن نباته يذكر النابغة الجعدي أيضا ، وإن لم يخبرنا من أين استقى هنا الخبر .

- ٩- الأغانى / مؤسسة عز الدين / بيروت / ٤ / ١٣٠ . وانظر شيئاً قريباً من ذلك في « الاستيعاب » لابن عبد البر / المكتبة التجارية الكبرى / ٣ / ٥٥٣ ، و « خزانة الأدب » للبغدادي / المطبعة الأميرية / ط ١ / ١٥٤ .
- ١٠- انظر كتابه « تاريخ الأدب العربية » / مراجعة وتعليق د. شرقى ضيف / دار الهلال / ١ / ١٥٥ .
- ١١- انظر كتابهما « الوسيط في الأدب العربي وتاريخه » / دار المعارف / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م / ١٦٣ .
- ١٢- انظر كتابه « جواهر الأدب » / المكتبة التجارية الكبرى / ط ٢١ / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٦ م / ٢ / ١٤٤ .
- ١٣- ديوان النابغة الجعدي / تحقيق عبدالعزيز رياح / المكتب الإسلامي / دمشق / ط ١ / ١٨٤ هـ - ١٩٦٤ م / ل .
- ١٤- انظر كتابه « شعر المخضرمين وأثر الإسلام فيه » / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط ٢ / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م / ٢٢٨ .
- ١٥- انظر كتابه « حسان بن ثابت » / دار المعارف / مكتبة الدراسات الأدبية رقم ٤٢ / ٤٧ .
- ١٦- انظر كتابه « تاريخ الأدب العربي » / دار العلم للملايين / بيروت / ط ٤ / ١٩٨١ م / ١ / ٣٤٢ .
- ١٧- انظر كتابه « أدب صدر الإسلام » / بيروت / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م / ٢٥٠ .
- ١٨- انظر كتابه « معجم الشعراء، الجاهليين والمخضرمين » / دار العلم / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م / ٣٥٧ .

- ١٩- انظر كتابه « شعراً، العرب الفرسان في الجاهلية وصدر الإسلام » / مؤسسة علوم القرآن / دمشق وبيروت ، ط ١ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م / ١٣٦ .
- ٢٠- انظر كتابه « النابغة الجعدي - حياته وشعره » / دار القلم (دمشق) والمنارة (بيروت) / ط ١ / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م / ١٦٠ . وقد وقع لي هنا الكتاب بعد انتهائى من هذه الدراسة بشهر ، فأخلصتُ إليه في الموضع الذى رأيت أنها تتطلب ذلك .
- ٢١- « هَلَا » كلمة يُصاح بها على الناقة حين يطرقها الفحل لستكين لما يفعله بها . والأذلغى الفيشل : الذَّكْر الضخم . وفي البيت الثالث يتهمها باستيلا ، الغلمة والاحتياج عليها .
- ٢٢- شهر النابغة الجعدي / ٥٩ .
- ٢٣- السابق / ٦٩ و ٧٣ وما بعدها حيث لا وجد له في المكان الذي كان يعتله في الرواية الأولى .
- ٢٤- ص / ٣٥ ، ٦١ ، مع إيدال « عُوجاً » بـ « غُضاً » في الرواية الثانية .
- ٢٥- العصر الإسلامي / ١٠٢ .
- ٢٦- الأغانى / ٤ / ١٣٨ .
- ٢٧- العمدة / تحقيق محمد محبى الدين عبدالحميد / المكتبة التجارية الكبرى / ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م / ١ / ١٠٦ . وانظر أيضاً « خزانة الأدب » / ٣ / ٣٣ .
- ٢٨- انظر في ترجمة النابغة وأخباره : السجستاني / المعزون والرصايا / ٨١ ، ٨٢ ، ٩٨ ، ٩٩ وابن قتيبة / الشعر والشعراء ، / تحقيق أحمد شاكر / دار المعارف / ١ / ١٢٣ وما بعدها ، وبين سلام / طبقات فحول الشعراء ، / تحقيق محمود شاكر / مطبعة المدى / القلمرة / ١ / ١٢٣ وما بعدها ، والأغانى / ٤ / ١٢٦ وما بعدها ، والمزيانى / للوشع / تحقيق على محمد البجاوى / دار نهضة مصر / القاهرة / ١٩٦٥ م / ٨٩ وما بعدها ، و « معجم الشعراء » له أيضاً ، وأمالي المرتضى / تحقيق محمد ثبو الفضل إبراهيم / عيسى البابي الحلبي / ط ١ / ١٣٧٣ هـ -

١٩٥٤ م / ٢٦٣ وما بعدها، وجرجي زيدان / تاريخ آداب اللغة العربية / ١ / ١٦٤ ، والإسكندرى وعنانى / الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه / ١٥٥ وما بعدها ، ود. شوقى ضيف / العصر الإسلامى / ١٠٠ وما بعدها ، ود. يحيى الجبوري / شعر المخرمين وأثر الإسلام فيه / ٢٢٧ وما بعدها ، وحنا الفاخورى / تاريخ الأدب العربى / المطبعة البولسية / ٢٤١ - ٢٤٢ ، ويلاشير / تاريخ الأدب العربى / ترجمة د. إبراهيم كيلاني / ٥٦٢ - ٥٦٥ ، ود. عمر فروخ / تاريخ الأدب العربى / ٣٤٢ - ٣٤٤ ، والمقدمة التى كتبها محقق « شعر النابغة ». وقد وقع في يدي بعد أن انتهيت من هذه الدراسة كتاب د. خليل إبراهيم أبوذياپ / النابغة الجعدى - حياته وشعره . وقد تناول فيه حياة النابغة وشخصيته (ص ٩٧ - ١٦٦) .

شعره ومواضيعاته

وصلنا من شعر النابغة الجعدي عدد لا يأس به من القصائد والمقطوعات عدا النتف والأبيات المفردة . وقد جاء عدد من قصائده بروايات مختلفة تتفاوت في الطول ، وقد تتفاوت في بعض الألفاظ أيضا . وقد جمع شعره وحققه مرتبًا إيه على حروف الألوفاء عبدالعزيز رياح ، وألحق به مانسب إليه وإلى غيره من شعر . وقد استفاد ، كما يقول ، من عمل ماريا نلينو (بنت المستشرق الإيطالي المعروف كارلو نلينو) ، التي كانت قد جمعت شعر الشاعر ونشرته محققا ومشروحا بالإيطالية سنة ١٩٥٣ م (١١) . ورغم الجهد الذي بذله المحققان فقد بقيت ثغرات في بعض القصائد ينتقل فيها الكلام من معنى إلى آخر لا اتصال له به . كما ظلت هناك بعض الأبيات التي لم يستطعوا أن يعيّنوا مكانها في القصيدة التي رأيا أنها منها ، فكانا يشتّانها في نهايتها .

ورغم هذا كلّه فإنّ الإنسان يستطيع أن يخرج بصورة لا يأس بها لفن النابغة الشعري ويتدوّق شعره ويستمتع به .

وفي شعر النابغة هجاءً ومفاحرة ، وهما أغلب الشعر عنده . كما أنّ عنده غزلًا ، لكنه لا يأتي أبداً مستقلًا

ولاطريلًا ، بل هي أبيات مرافقة للغرض الأصلى فى القصيدة
التي وردت فيها . ومثل الغزل فى ذلك وصفه للخمر ، وكذلك
نظراته الحِكمية . وثمة أيضا أبيات فى مدح الرسول عليه السلام
والاعتزاز بالإسلام . كما أن هناك أبياتا أخرى تأتى فى
تضاعيف بعض قصائده تصور حزنه الأليم على أخيه وَحْوَح وتمجد
خلاله ومرءاته وشهادته . ومثل ذلك الأبيات التى يصوّب فيها
ناظريه إلى الماضي متذكرا شبابه ومسترجعا أوقات الهااء التى
عاشها هناك ومتحسرا على مضى ذلك كله إلى عالم الفناء ،
وكذلك تلك الأبيات التى يتحدث فيها عن الراحلين من قومه .
وفى عدد من قصائده تقابلنا أبيات غير قليلة فى وصف
الفرس ، وهو ما اشتهر به النابغة عند القدماء (٢) . وهذا كله
غير القصيدة التى يبذّها بتحميد الله وترحيده مؤكدا أنّ من لم
يقل ذلك فقد ظلم نفسه .

والحق أن وصف النابغة للخيول هو أقل شعره عندي
جاذبية . صحيح أنه ومثله من شعر الشعرا، الآخرين كان يعجب
القدماء ، لكنهم إنما كانوا ينجذبون إليه لما فيه من الغريب .
أما الناحية الفنية وما تحدثه من نشوة فى النفس والعقل فلأنى
لا أجدها فى ذلك اللون من الشّعر الذى يبدو فيه الشاعر عادة

وكانه قد تخلّت عنه تلك الأحلام الدافئة التي تجعل من الشعر شعراً ، فإنه يذهب في تقصي أجزاء ، ناقته ووصفها وصفاً عقلياً لا أثر فيه للشعور . وتشبيهاته حينذاك تأتي ميتة ، إذ إن وجه الشبه فيها غالباً سطحي لا تعليق للخيال فيه ، فكانه مجرد وسيلة تعليمية يراد بها التفهم والتقرير .

وفضلاً عن ذلك ، فينبغي ألا ننسى أن الناقة والحصان اللذين شففوا الجاهليون والإسلاميون بوصفهما والإطالة في ذلك إطالة مسروقة في غير قليل من الأحيان لم يعد لها الآن نفس الدور الذي كانا يقومان به في حياة العربي القديم ولا ترتبط حياتنا بهما كما كانت حياة ذلك العربي القديم ترتبط بهما . بل إن الأغلبية الساحقة منا لا تستطيع أن تعرف أسماء ، أجزاء ، جسميهما أو الأدوات التي توضع عليهما مما هو محلّ الوصف والتطويل في شعرنا القديم ، فلقد أصبحنا نستعمل اليوم السيارة والقطار والطائرة لا الجمل ولا الحصان . بل إن أي شاعر لو وقف اليوم وقفه نظيره القديم فوصف لنا أجزاء ، أية وسيلة من وسائل مواصلاتنا هذه بالطريقة التي كان القدماء يصفون بها الحصان أو الناقة فلا شكّ أنه سيكون مملاً غاية الإملال . ولا أظنّه سيهتم بكلامه أحد إلا المهندسون والميكانيكيون وأشباه

ذلك ، إذ الموضوع بهذه الطريقة يخلو تماما من الشاعرية أو يكاد (٣) .

ثم إن هذا الفرض الشعري بالذات هو من الأغراض التي يكثر فيها الغريب الحوشى من الألفاظ ، إن لم يكن يأتي على رأسها ، مما يضاعف برمدا به .

وعلى أية حال ، فهذا شاهد على وصف الناففة للحصان .

يقول مفاحرا بحصانه الذى لاقى به كتبة من كتائب الأعداء :

تلاقيهـن بلا مـقـرـفـ
بعـارـيـ التـواـهـقـ صـلتـ الـجـبـ
يـقطـعـهـ مـنـ بـتـقـرـبـهـ
وـإـرـخـاـ، سـيـدـ إـلـىـ هـضـبةـ
إـذـاـ سـيـقـتـ الـخـيـلـ وـسـطـ النـ
غـداـ مـرـحـاـ طـرـبـاـ قـلـبـهـ
فـلـيـقـ النـسـاـ حـيـطـ المـقـفـيـ
مـدـلـ عـلـىـ سـلـطـاتـ الـشـأـوـ
صـحـيـعـ الفـصـوـصـ أـمـيـنـ الشـأـنـ
كـسـأـنـ تـمـاثـيـلـ أـرـسـاغـهـ
كـأـنـ حـوـافـرـهـ مـدـبـراـ
حـجـارـةـ غـيـرـ لـبـرـضـاـضـةـ
وـأـوـظـفـةـ أـيـلـاـ جـلـلـهاـ
وـلـوحـ ذـرـاعـيـنـ فـىـ بـرـكـةـ
أـمـرـرـ وـنـحـيـ منـ صـلـبـهـ

على أن حاركه مشرفٌ
كان مقططًا شراسيفه
لُطِّمنَ بُتُرسٍ شديد الصقا
ويصهل في مثل جوف الطروى
وممن دون ذاك هُرِئِ لـه
ولعل أشجعى شعر النابغة وأعلقه بالنفس هو الشعر الذى
يسترجع فيه أيام شبابه حين كان يخلب الحسان بفتوته ونضارته
عوده وسود شعره الفينان ، مقابلًا بينها وبين شيخوخته التى
تساقطت أوراق غصونها وبقيت جردا ، وكذلك حين يرثى أخاه
فيذهب يعدد مآثره فى ولـه وحسرة ، أو حين تسأله سائلة عن
السبب قى قلة عديد قومه فيجييها بـأن الـدـهـر ، الذى لا يـبـقـى
على شـىـء ولا يـذـر ، قد أـكـلـهـمـ ضـمـنـ ماـ أـكـلـ .

انظر إلى انكساره وتضعضعه أمام ملاحظة سليمي عن
ايضاض شعره واضطراوه ، لكي يوضح لها السبب في ذلك ،
إلى أن يذكر فعل المنون في إخوته وأقاربه الذين خلفوه وراءهم
وحيداً كقرن الثور الأعصب ، بما يهيجه كل ذلك من أحزان
قديمة :

وقالت سليمى : أرى رأس
كناصية الفرس الأشہب
وذلك من وقعات المنون
ففيئننى إليك ولاتعجبنى
أتين على إخوتى يعنة
وعذلن على ربى الأقرب

وسادة رهطى حتى بقيت فرداً كصيغة الأعضى
وتعجبنى انتقاله المفاجئة من سؤال سليمى إلى جوابه
عليها ، إذ لم يحاول أن يمهد لذلك الجواب بما يفيد أن كلامها
قد انتهى وبدأ كلامه هو . ولعله أراد أن يوحى عن طريق النقلة
القافزة بضيقه من هذه الملاحظة ، فهو لم يصبر حتى تتم كلامها
أو على الأقل لم يُعْنَ بالفصل بين كلامها وكلامها ، شأن الذى
لا يطيق أن يسمع ما يقال فهو يبادر إلى الرد عليه من فوره .

وهذا الضيق يتتأكد من قوله **بعين** ذلك : « ففيئى إليك
ولاتعجبى » ، إذ يأمرها أن تشوب إلى عقلها فلا تنطق بمثل
هذه الملاحظات المؤلمة المثيرة لقديم الأشجان من ركودها .

ثم يعجبنى كذلك تصويره لوقعات المنون بصورة الإنسان
الذى يأخذ شيئاً ويدهب ، ثم يعود ليأخذ ماتبقى ، وذلك فى
قوله :

أتين على إخوتى سبعَةَ وعُشَّةَ على رَيْعِيَ الأقربِ
ولاشك أن تفصيله بتحديد عدد إخوته الذين أتت عليهم وقعات
المنون بسبعة وإضافته إلى ذلك ريعه الأقرب هو مما يجسم مدى
فداحة البلية . إن هذه التفصيات لها دورها فى جودة الشعر
وقوته .

وتنتهى الأبيات بهذه الصورة المؤثرة : صورته وقد غودر

وحيداً في الحياة وأصبح حاله كحال قرن الثور الأعصب . وتأثير هذه الصورة كامن أقوى ما يكون في الكلمة « الأعصب » ، التي توحى بأن وضع القرن الباقى هو وضع شاذ ، إذ ينقصه عديله ، بخلاف مالو قلنا مثلًا : « كقرن وحيد القرن » . إن وجه الشبه هنا ، كما هو هناك ، التفرد . لكن شتان بين تفرد وتفرد : هذا تفرّدٌ طبيعي لا يشير وحشة ولا يوحى بفقدان . أما تفرد صيصية الأعصب فهو تفرّدٌ النقصان والتشويه والضعف والتضعضع .

وأقرأ كذلك هذه الأبيات ، والضمير في الفعل « تذكر »

يعود إلى قلبه المذكور قبل ذلك :

ومن حاجة المعزون أن يتذكرا
أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقرا
دنانير مما شيف في أرض قيسرا
وأعمامه آل أمرى، القيس أزهرا
مناصفةً والشرعى المحبرا
ومعثيطةً من مسك دارين أذفرا
وأصبحت أرجو بعدهم أن أعمرا
دعا راعيا ثم استمر فادبرا
وهي كذلك تنضح بالأسى واللوعة اللذين يحاول الشاعر أن
يخففهما بالالتفات إلى الماضي ، عكس حركة الزمن في طريقة

بالبشر نحو الفنا ، وكأنه إذ يفعل ذلك إنما يفرّ من الموت . وهيهات ! ألا ما أشجع قوله : « ومن حاجة المحزون أن يتذكّرا ». ذلك أنه إذا ثقلت علينا وطأة العاضر فإننا نعالجها باستحضار الذكريات البهيجـة كنوع من المعادلة ، مثل من يسفـ بعض السكر ليطرد المراـة التي في فمه .

وما أشجع كذلك الكنـية في قوله : « أرى اليوم منهم ظاهر الأرض مقـراً » ، ومعناها بطبيعة الحال أنـهم مدفونـون تحت الأرض في باطن الشـرى . إلـأـ أنها ، إلى جانب هذا ، تومـىـ، بأنه أخذ يـلـفت حولـه يـمـينا وـشـمالـاً ويـقـطـع الأرضـ ، الأرضـ كلـها ، جـيـئة وـذـهـابـاً لـعـلـهـ أنـ يـرـاهـمـ فـلـايـجـدـ لهمـ منـ أـثـرـ . وهذاـ يـلـفتـ إلىـ المـاضـىـ هـرـوـبـاًـ منـ كـابـوسـ العـاصـرـ المـزعـجـ ، وـعـنـدـئـذـ تـبـدـلـ الحـالـ غـيرـ الحـالـ ، فـيـسـودـ جـوـ كـلـهـ نـشـوةـ وـحـبـورـ : إنـ أولـئـكـ الأـصـحـابـ كـالـدـنـانـيرـ ، بـمـاتـوـحـيـهـ كـلـمـةـ «ـ الـدـيـنـارـ »ـ منـ النـفـاسـةـ وـالـلـمـعـانـ . وـهـوـ لـيـسـ أـىـ دـيـنـارـ . إـنـهـ دـيـنـارـ قـيـصـرـىـ ، وـلـكـلـمـةـ «ـ الـقـيـصـرـ »ـ ظـلـالـهـ الـمـعـرـوفـةـ مـنـ السـطـوـةـ وـسـعـةـ السـلـطـانـ . شـمـ هـذـاـ الـمـلـكـ الـذـىـ «ـ يـرـدـ عـلـيـهـ كـأـسـهـ وـشـواـءـ مـنـاصـفـةـ »ـ . أـىـ عـزـ هـذـاـ ! إـنـهـ لـاـيـقـدـمـ لـهـ مـجـرـدـ الطـعـامـ وـالـشـرابـ ، بلـ يـمـدـ إـلـيـهـ الشـرابـ مـنـ كـأـسـهـ هوـ ، وـالـشـواـءـ ، مـنـ اللـحـمـ الـذـىـ يـأـكـلـهـ هوـ ،

وفوق ذلك يقدمهما إليهم مناصفة لا يؤثر نفسه عليهم بشيء .
والشاعر حريص على أن يذكر نسب ذلك الملك : فأخواه آل
جفنة ، وأعمامه آل أمرىء القيس ، تانك الأسرستان المعروفةتان
بالعزّ والمجد والسلطان . ثم يمضي الشاعر في تعداد الغلَّع
والطُّرف وصنوف الإكرام التي أتحفهم بها ذلك الملك الأثيل .

على أن الشاعر يعود من تطاوشه بدروب الماضي الحالمة إلى
أرض الحاضر فتعود معه الأحزان : لقد مضى أصحابه وتركوه .
وهو ، بما رُكِّب فيه من غريزة حب الحياة والأمل ، يرجو مع
ذلك أن يطول عمره فلا يغادر الدنيا سريعاً كما فعلوا .

وتنتهي الأبيات بذلك البيت الذي لا أذكر أنه سبق أن
لقيت مثله ، على الأقل في شعر من تقدموا الجعدى :
وما عمرى إلا كنوعة فارطٍ دعا راعيا ثم استرَ فأدبها
والذى يصور فيه قصر الحياة بصورة دعاء من يتقدم الرعاعة إلى
الماء ليهوى لهم الدلا ، ويملاً الحوض بالماء أن « قد انتهيت من
إعداد كل شيء » ثم يمضي ويتركهم . فكذلك العمر : صيحة
في القفر سرعان ما تضيع في جنبات العدم ولا يبقى منها ولا
حتى الصدى !

أما الأبيات التالية ، وهي في الحسرة على انصرام الشباب
وانصراف الغوانى عنه ، فتصور عجز الشاعر بين أمرين

مستحيلين . يقول :

لقيتُ عنـا ، من أميـة عـانـيا
فلاـهـى تـرـضـى دونـ أـمـرـدـ نـاشـىـ
وـقـدـ طـالـ عـهـدـىـ بـالـشـبـابـ وـأـهـلـهـ
بـدـتـ فـعـلـ ذـىـ وـدـ ، فـلـمـ تـبـعـنـهاـ
وـخـلـتـ سـوـادـ القـلـبـ ، لـاـ أـنـاـ باـغـيـاـ
ولـوـ دـامـ مـنـهـاـ وـصـلـهـاـ مـاـ قـلـيـتـهـاـ
وـمـارـابـهـاـ مـنـ رـبـةـ غـيـرـ أـنـهـاـ
رـأـتـ لـمـتـىـ شـابـتـ وـشـابـ لـدـاتـيـاـ

ومـاـذاـ يـسـتـطـيـعـ الشـاعـرـ ، أـوـ يـسـتـطـيـعـ غـيـرـهـ ، فـىـ هـذـاـ المـوـقـفـ ؟

إـنـ أـمـيـةـ لـاـ تـرـيدـهـ إـلـاـ شـابـاـ نـظـراـ ، وـهـوـ بـيـسـاطـةـ يـقـولـ إـنـهـ
لـاـ يـسـتـطـيـعـ أـنـ يـعـيـدـ نـفـسـهـ شـابـاـ . وـمـنـ ذـاـ الذـىـ يـسـتـطـيـعـ ؟ـ لـأـحـدـ .

ثـمـ هوـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ أـلـاـ يـحـبـهـاـ ، إـذـ الـحـبـ وـالـكـرـهـ لـاـ يـخـضـعـانـ لـإـرـادـةـ

الـإـنـسـانـ بـلـ هـمـاـ شـعـورـانـ يـفـرـضـانـ عـلـيـهـ فـرـضاـ ، وـكـذـلـكـ لـاـ يـسـتـطـيـعـ

أـنـ يـسـتـبـدـلـ بـحـبـهـاـ حـبـّـ غـيـرـهـاـ . وـمـعـ ذـلـكـ فـيـانـهـ يـقـولـ إـنـ طـولـ

هـجـرـهـاـ إـيـاهـ وـعـدـ مـبـالـاتـهـ بـهـ وـيـأسـهـ مـنـهـاـ ، كـلـ ذـلـكـ قـدـ أـضـعـفـ

مـعـ الزـمـنـ حـبـهـ لـهـ . ثـمـ يـعـودـ مـرـةـ أـخـرىـ فـىـ خـتـامـ الـأـيـيـاتـ إـلـىـ

الـإـشـارـةـ إـلـىـ سـبـبـ هـجـرـهـاـ لـهـ وـأـنـهـ الشـيـبـ . وـعـودـتـهـ إـلـىـ هـذـاـ

الـمـوـضـوعـ مـرـةـ أـخـرىـ تـشـىـ بـايـلامـهـ الشـدـيدـ لـهـ وـإـلـحـاجـ ذـلـكـ الـأـلـمـ

عـلـيـهـ . وـبـدـيـعـ مـنـهـ أـنـ يـذـكـرـ شـيـبـ لـدـاتـهـ بـجـنـبـ شـيـبـهـ ، وـكـأنـهـ

يـقـولـ : «ـ إـذـاـ كـنـتـ قـدـ شـبـتـ فـلـمـ أـشـبـ وـحدـيـ »ـ ، مـحاـوـلـةـ مـنـهـ

للتعزى ودرء الملامة عن نفسه ، إذ الشيب سنة الحياة لاينجو منه إنسان ، وليس أمراً إرادياً يمكننا أن نفعله أو نتركه .
وفى القصيدة ذاتها التى منها هذه الأبيات نقرأ له رثاءه
فى أخيه ، ذلك الرثاء الذى يخلطه بشئ من الحكمة المزوجة
باللامبالاة بالمال ، إذ كل شئ زائل :

تلوم على هلك البعير ظعينتي
وكنتُ على لوم العواذل زاريا
ألم تعلمى أنى رُؤشتُ بِوَحْشٍ
فتى كملت أخلاقه غير أنه
فتقى تم فيه مايسر صديقة
يقول لمن يلهاه فى بذل ماله :
يُدر العروق بالسنان ويشترى
أشم طريل الساعدين سيدع
أتىحت له والفهم يحضر الفتى
ويعجبنى فى الbeitين الرابع والخامس هذا الاستدراك الذى
يوحى فى البداية أن الشاعر يريد أن يستثنى من شمائل أخيه
الرفيعة عيباً يشد عن تلك الشمائل ولاينسجم معها ، ثم
يفاجئنا بإضافة خط آخر من خطوط النبل والعتق فى شخصية
ذلك الأخ . وهو مايسمي البلاغيون « المدح بما يشبه الذم » .
وتتأثير هذا الأسلوب هو فيما أشرت إليه من تلك المفاجأة
وماتوقعه من دهشة منعشة على نفوسنا فى الوقت الذى نكون

فيه مترقبين لذكر مايسوء .

ولاشك أن إرداد الشاعر وصفه لأخيه بـ « ابن أمه »
بقوله : « والخليل الصافيا » من الكلام الجميل ، إذ ما أكثر
الإخوة الذين تنعدم بينهم المودة ، بل قد تكون بينهم من
العداوات ما لا مثيل له بين الأخream الألداء !

كذلك مما لاريب فيه أن قول أخيه : « أُنفق أيامى وأترك
ماليا ؟ » هو من اللفتات الذهنية والنفسية المبدعة : فهذا رجل
تد استطاع أن يتعمق الحياة وأن يتغلب على ما غُرس فى
نفوسنا من حرص على المال ورغبة فى استبقاء أكبر قدر منه .
إنه يرى أن عمره ذاهب ولا يمكن استبقاءه أبدا ، فيتساءل : ولم
أحاول استبقاء ، مالى إذا كنت عاجزا عن استبقاء عمري ؟ أيكون
مالى أعز على نفسي من حياتى ؟ ألا إن ذلك لايمكن أن
يكون . ثم إنه يتصرف فى حياته على هدى من هذا التفكير
ولا يبالى .

وقد أخذ على الشاعر قوله عن أخيه : « إذا لم يُرْجِع للجد
أصبح غاديا » ، إذ يعکى الأصمعى أنه أنشد بعض أبيات
هذه اليائية ومنها هذا البيت ، فتساءل الرشيد فى استئثار :
« ويله ! ولَمْ يُرَوْجِه فى المجد كما أغداه ؟ » (٤) ، وكأن

المسألة مسألة مزايدة يفوز فيها من يدفع أكثر . فإذا كان بعض الناس يقولون مثلاً : « إن فلانا إذا فاته فى آخر اليوم أن يأتي فعلا من أفعال المجد فإنه يبادر فى الغد إلى استدراك مافات » ، فأفضل منهم عندهم من يقولون عن ذلك الشخص : « إنه لا يكفى عن فعال المجد فى أى يوم لا صباحا ولا مساء » . لا ، ليس الأمر كذلك ، وليس الشعر هو أن نبالغ فيما نقول . إن النابغة ، كما لاحظت فى شعره مرارا ، حريص فى كثير من الأحيان على الواقعية . ولاجرم أن الإنسان ، مهما يكن من نبله وأريحيته ، ليس آلة لإنتاج الخير لاتتوقف . وحتى الآلات كثيراً ما تتكلّم وتحتاج إلى الصيانة والإصلاح ، فما بالنا بالبشر ؟ ثم إن قول النابغة عن أخيه إنه حريص على أن يستدرك فى أول فرصة فعل ما فاته ليوحى بشدة رغبته فى إتياي المكرمات . إنه بشر ، ولكنه فى نفس الوقت يعمل كل مافى وسعه للارتقاء ببشريته فى سلم المجد والنبل إلى أعلى درجة مستطاعه ؟ أما الرجل الذى لا يتوقف أبداً عن صنع المكارم ، كما هو فى خيال الرشيد ، فأين هو ؟

أما البيت الأخير فلعله كان قبله بيت ثم سقط أو أكثر . فالضمير فى « أتيحت له » لا يجد ما يعود عليه . ولعل الشاعر

يقصد المنية أو حادثة أدت إليها . وقوله : « ومن حاجة الإنسان ماليس لاقيا » لا يبدو له اتصال بمحاسبته . وقد يكون المراد أن الإنسان يريد أن يبقى حياً أبد الدهر ولكنه لا يمكنه ذلك .

وممّا يعجبني كثيراً في شعر النابغة أيضاً أبياته التالية في الحديث عن موقفه من الخليل الذي يغدر به . إنه إذا أحسن فيه بما يريب لجأ في إصلاحه أولاً إلى العتاب . ثم إذا لج في التنكر للصداقة وقطعه فما أسرعه هو بدوره إلى مقابلة القطيعة بمثلها ! إذ لا يعقل أن يداوم على حب من لا يحبه :

وكان الخليل إذا داينى فعاتبه ثم لم يتعجب
سواء ، وما ذاك بالأصول
إذا ما القرينة لم تُصحب^(٥)
فبان خان خُنتُ ولم أكثِرْ
، والمرؤُزُ أروعُ من ثعلب
خلالُه كأنَّى مرحَب ؟
راك بيَثِ فلم يلتفت
إليك وقال : كذاك ادَّيْ
ومانعنى كمنساح العُلوَ
إن الرجل هنا واقعى مثالى معا . إنه لا يغدر بصديقه
ولا يبيعه في الشدائد رخيصاً ، ولكن ذلك الصديق إذا تغير قلبه
ولم ينفع فيه عتاب ولا مراجعة فإنه قادر على قطعه وتبذه . إن
الحياة عند النابغة أخذ وعطاء ، وهو لا يقبل من ثمّ أن يعطي

بغير مقابل إلا اللوم والغدر . فإذا وجد أن من يهواه لا يبادله مثل هواه فإن نفسه لاتطوعه على الإبقاء على صداقته بل تصرف عنه . وتأمل كيف يسمى هجره للصديق الخائن « خيانة » . إنها في الحقيقة ليست كذلك ، ولكنها يجري على مسامّاه البلاغيون بعد ذلك بـ « المشاكلة » ، وكأنه يريد أن يقول : « لست أنا الذي يُغدر به ويُخان ، بل أنا قادر على أن أخون » ، أو لعله يريد أن يبين لنا أنه قد آلم ذلك الصديق الغادر بنفس المقدار من الإيلام الذي سببه له ، ومن هنا يسمى موقفه من خيانته هو أيضا خيانة . والطريف أن لسانه ، بعد هذا ، يفضحه فيقول عقيب ذلك : « ولم أكذب » . وبالله كيف يخون الإنسان ويعرف بخيانته ثم ينفي عن نفسه مع ذلك الكذب ؟ لكنه لا يصح ألا ننسى أنه في تسمية موقفه من خيانة الصديق خيانة إنما جرى على الأسلوب العربي . وكأنه لـما استعمل هذا الأسلوب عاد فاجفل وأحب أن ينفي عن نفسه ما يمكن أن يسبق إلى وهم الناس من أنه هو أيضا خائن ، فاحترز بقوله : « ولم أكذب » . أو قد يكون المعنى أنه إذا ثبتت له خيانة الصديق فإنه لا يكذب نفسه ولا يمنيها الأمانى الباطلة من وراء صداقته هذا الصديق بل يبادر إلى قطعه فورا . يجوز هذا

ويجوز ذاك ، فإن البيت يقبل المعنيين جميعا (٦) .

وفى البيت الخامس تقع الموسيقى بين كلمتى « الأخلاء » و « البلاء » موقع النسمة اللطيفة . كما أن عبارة « أبي مرحبا » الدالة على المنافق الذى يتظاهر بمودتك وصداقتك ويبتسم فى وجهك إذا قابلك ويرحب بك ترحيبا بالغا ولكنه فى الأزمات روانغ فرئار هى من العبارات الطازجة الموققة ، وتبدو ذات مذاق شعبي . ولعلهم حين سموه بـ « أبي مرحبا » قد قصدوا أنه لا يخرج من فمه (كما يخرج من صلب الرجل ذريته) إلا « مرحبا ! مرحبا ! » ، فهو « أبو » مرحبا على هذا التقدير . وهناك تفسير لأبى مرحبا بأنه الذئب (٧) . بيد أنه لا يضرّب بالذئب المثل فى الروغان والغدر . إنما هو الشعلب . وقد سبق فى البيت المتقدم ذِكرُ الشعلب بهذا المعنى ، نلا داعى فيما أظن لذكر الذئب .

وعندما يفخر النابغة بقومه ويهجو خصومهم فإنه يغلو غلوًا غير قليل . وإذا صحت إحدى الروايتين الأوليين لرأيته التى أنشدها على مسمع من النبي عليه السلام عام الوفود كان غلوّ الجعدى فى الإشادة بقومه قد بلغ غاية لم تُبلغْ من قبل (ولا من بعد فيما أحسب) ، إذ لم يكدر يترك أحداً من قبائل

العرب إلاً وججل صوته بأن قومه قد هزمواهم وقتلوهم

وشرّدوهم :

يقولون معروفاً وأخر منكرا
كفيلاً دنا منا أعزّ وأنصرا
أصيّبت سباءً أو أرادت تخْيِرا
فيغبر حولاً في الحديد مكفراً
ثويتاً وإن كان الشَّاهِيَّةُ أغضراً
فأضحوت ببصري يعصرُون الصنوبرَا
وهنّا فكلاً قد طرحنَه مطحراً
فأحجرها أن لم تجد متاخراً
وحسان وابن الجوف ضرباً منكراً
بذى النخل إذ صام النهار وهجراً
عيمَى بنى شيبان عَمْراً ومنذراً
أراها مع الصبح الكواكب مُظهراً
روينَ نجيعاً من دم العجوف أحمراً
ينهشى غراب يوم ما عَوَّجَ الذُّرا
إذا ما التقينا أن تحيد وتتفرا
صحاحاً ولا مستنكراً أن تُعَقَّرا
إيانا لنرجو فوق ذلك مظهراً
جوانب بحرٍ ذى غوارب أخضراً
لتنظر فى أحلامها وتفكرها
لابُلُغَ عُدُّراً عند ربي فاعذرها
تُفْيِلُ بن عمرو والوحيدة وجفراً

ومهما يقل فبنا العدو فابنهم
فما وجَدَتْ من فرقة عربية
وأكثر منا ناكحا لغريبة
وأجدر ألا يتركوا عانياً لهم
وأجدر ألا يتركوا من كرامية
وقد آنسَتْ منا قضاةً كالنَّا
وكدةً كانت بالحقيقة مقيمة
كنانةً بين الصخر والبحر دارُهم
ونحن ضربنا بالصفا آل دارِم
وعلامة الجُعْفَى أدرك ركضُنا
ضرينا بطنن الغيل حتى تناولت
أرحنا مَعْلَمَا من شراحيل بعدما
تمَرَّنَ فيه المَضْرِبَةُ بعدما
ومن أسدٍ أغوى كهولاً كثيرة
ونحن أنسَاس لانعدَد خيلنا
وما كان معروفاً لنا أن نردها
بلغنا السما م جداً وجوداً وسُؤداً
وكلَّ معاً قد أحْلَتْ سيفنا
لعمري لقد أندَرْتُ أزدَا أناهها
وأعرضتُ عنها حقبة وتركتُها
وما قلتُ حتى نال شَمْ عشيرتى

وحي أبى بكر ولا حي مثُلُم إذا بلغ الأمر الغماس المذمّرا ..

.....

إذا افتخر الأزدئ يوما فقل له : تأخّر فلن يجعل لك الله مفخرا
فبان تَرِد العُليَا فلست بأهلها وإن تبسط الكفيں بالمجد تُقصرا
إذا أدلى الأزدئ أدلى سارقا فأصبح مخطوماً بلؤمٍ معزرا
وبالمناسبة ، فقد اخترت الرواية الثانية . ولو كنت اخترت الأولى ل كانت قعقة الفخر أدوى وأعنف تفجرا . وإن الإنسان ليتساءل : ماذا كان قوم النابغة يظنون أنهم قد جاءوا إلى النبي
ليفعلوا ؟ لقد جاءوا ليعلّنوا إسلامهم لا ليهددوا ويقعّعوا .
ولكن هكذا كانت طبيعة العرب ، بل وما زالت كذلك للأسف .
وإن الأغانى والأنشيد التى تبثها الإذاعات العربية الآن فى
الافتخار بالبطولات وتهديد الأعداء خير دليل على ذلك ، مع
مانعرفه نحن العرب قبل غيرنا من هواننا وعجزنا وذلتنا وخزينا
وضراعتنا أمام أعدائنا وببلادتنا نحو الإهانات الشنيعة التى
توجه لأوطاننا وأعراضنا وديتنا . ولكن النبي الكريم قد قابل
كل ذلك من الشاعر بصدره الواسع وحلمه الكريم وفهمه العميق
للطبيعة العربية . وحين وصل النابغة إلى أقصى نقطة فى الفخر
المدمم بقومه قائلاً :

بلغنا السماً مجدًا وجودًا وسُزدادًا وإنما لنبقى فوق ذلك مظهرا
كان كل ما عقب عليه السلام به على ذلك أن سأله : « إلى أين

المظهر يا أبا ليلي ؟ » ، وكأنه عليه السلام يريد أن ينبهه إلى أنه لاغایة لأحد بعد هذه الغاية ، إذ ماذا بعد السماء ؟ ولكن الشاعر اللبق سرعان ما أجاب محولاً وجهة الكلام إلى الآخرة بعد أن كان في الدنيا ، فقال : « إلى الجنة يارسول الله ». دعا له الرسول بالخير بعد أن نبهه أن يقول : « إن شاء الله ». .

هذا ، وقد مضت أبياته في مدح ابن الزبير في الفصل السابق . ويبقى من الحديث عن الأغراض الشعرية عند النابغة الميمية المنسوبة إليه ومطلعها :

الحمد لله لا شريك له من لم يقلها فليس به ظلماً
والتي جمعت من المظاآن المختلفة فبلغت واحداً وعشرين بيتاً .
وهي غريبة على شعر النابغة الذي سَلِم لنا ، إذ كلها في المعانى
الدينية من توحيد الله واعتراف بقدرته وعظمته ، وتأمل في
مجالى السعادات والأرض ومعجزة الخلق والحياة والنمو ، وتذكير
بمصائر بعض الأمم من أهل كلام الله وكانوا أقوى قوة وصولة
وغيى أو أرغمنا أنوفهم وأخضعهم للعرب ، وخوفي من العساب
والنار ، وحكاية لقصة نوح ، وإن ضاع معظم الأبيات التي
تتضمنها ولم يبق منها إلا بيتان هما آخر بيتين في القصيدة .
والقصيدة فوق ذلك أقرب إلى النظم منها إلى النثر ، وإن

كان د. شوقى ضيف يصفها بأنها « موعظة بليفة » (٨) .
وقد اختلف حول نسبة هذه التصيدة (٩) ، فنسبها بعضهم
إلى أمية بن أبي الصلت ، وبعضهم إلى النابغة الجعدي ، وبعض
آخرون إلى نابغة بنى شيبان . وفي الفصل التاليتناول هذه
المسألة .

الهوا مش

- ١- انظر مقدمة « شعر النابغة الجعدي » / ج - د .
- ٢- انظر مثلا ابن سلام / طبقات فحول الشعرا ، ١٢٨ / ١ ، والمرزباني / معجم الشعرا ، / تحقيق عبد السنار أحمد فراج / البابي الحلبي / القاهرة / ١٩٦٠ م / ١٩٥ .
- ٣- للدكتور خليل إبراهيم أبو ذياب رأى مختلف في وصف النابغة للخييل . وقد أطال القول في ذلك . انظر كتابه « النابغة الجعدي - جباته وشعره » / ٢٢٣ وما بعدها .
- ٤- المرزباني / الموضع / ٩٣ . وانظر « شعر النابغة الجعدي » / ١٧٥ / هامش . ٢٨
- ٥- إذا النفس لم ترتع إليه .
- ٦- هناك رواية أخرى للشطرة الثانية من البيت في « لسان العرب » كالآتي : « إذا كذبتَ حُلَّةَ الْمَخْلِبِ » . والمخلب : الناقة . وكذبت خلتها : ذهب لبنتها . انظر « شعر النابغة الجعدي » / ٢٥ / هامش ٤٢ . ولكنني أخذت بالرواية المثبتة في القصيدة ، لأنها من رواية البحترى في « حماسته » . انظر تحرير القصيدة في ص / ١٢ بالهامش ، والبحترى أسبق من « لسان العرب » بكثير ، علاوة على أن تسمية لبن الناقة بالخلة مما لا يسوغ .
- ٧- انظر « شعر النابغة الجعدي » / ٢٦ / هامش ٤٤ .
- ٨- العصر الإسلامي / ١٠٣ .
- ٩- القصيدة موجودة في « شعر النابغة » / ١٣٢ - ١٣٤ .

تحديد نسبة قصيدة « الحمد لله لاشريك له »

ورد في « طبقات فحول الشعراء » أن النابغة الجعدي لماً أذن له عثمان أن يعود إلى بلاده على أن يرجع مرة أخرى إلى المدينة بعد أجل أجله له « خرج من عنده فدخل على الحسن بن علي فودّعه ، فقال له الحسن : أنشدنا من بعض شعرك فأنشده :

الحمد لله لاشريك له من لم يقلها فنفسته ظلمًا
قال له : يا أبا ليلي ، ماكنا نروى هذه الأبيات إلا لأمية بن أبي الصلت . قال : يا ابن رسول الله ، والله إنني لأول الناس قالها : زإن السروق من سرق أميّة شعره » (١) .
وفي « الاستيعاب » لابن عبد البر أن هذه القصيدة بما فيها من ضروب دلائل التوحيد والإقرار بالبعث والجزاء والجنة والنار وصفة بعض ذلك تنحو نحو شعر أمية بن أبي الصلت . وزاد ابن عبد البر أنه « قيل إن هذا الشعر لأمية ، ولكنه صحيحة يونس بن حبيب وحماد الراوية ومحمد بن سلام وعلى بن سليمان الأخفش للنابغة الجعدي » (٢) . كما ورد في « الأغانى » و « الخزانة » أن النابغة قد قال هذه القصيدة في الجاهلية (٣) .

كذلك فإنها موجودة في ديوان النابغة الشيباني ، الشاعر
الأموي .

فما وجه الصواب في ذلك كله ؟

أولاً أحب أن أؤكد أن هذه القصيدة لا يمكن أن تكون
جاهلية لأكثر من سبب : فمعانيها كلها تقريرا وكذلك كثير جدا
من ألفاظها وعباراتها قرآنية ، فكان الشاعر قد وضع القرآن
نصب عينيه وأخذ بعض آياته وصاغها شرعاً . ولو كانت القصيدة
جاهلية فمعنى ذلك ببساطة أن القرآن قد اقتبسها وأدخلها في
آياته بعد أن نشرها ، وهو ما لا يمكن أن يكون . ولست أقول هذا
لمجرد أنني مسلم يعزّ علىّ أن أسلم بهذا حتى لا أسيء إلى
كتابي المقدس ، ولكن لأن هذا لو حدث لشارت ثائرة الكفار
وارتجمت الجزيرة العربية كلها لأنه سيكون دليلاً قاطعاً على أن
محمدًا كان يستمد قرآنـه من كلام البشر . إن كل ما اتهم
الكافر به الرسول عليه السلام في هذا الصدد أنه كان يستمع إلى
بعض الرقيق الأعجمي في مكة ويضمن ما يتعلمه منهم في
القرآن ، ولم يذكروا النابغة ولا أمية قط . ثم أكانت نفس النابغة
تطاوعه على الدخول في الإسلام وهو يرى قصيده قد أخذت
وادعى أنها وحي إلهي . بل إنـي قد بيـنت من قبل أنـ من

المستبعد للغاية أن النابفة كان فى الجاهلية متحنفاً على دين إبراهيم يستغفر الله ويصوم ويتجنب الخمر والأوثان ، ومن ثم فهذا الشعر غريب عليه آنذاك . أما لو كانت الأبيات لأمية فلا ريب أنها كانت ستصبح فرصة العمر لهذا الرجل العاقد على الرسول لنزول الوحي عليه بدلاً منه كما كان يطمع ويتوقع ، ولكان قد شئ حرباً على الرسول ودينه لا ترحم (٤) .

هذا سبب ، والثانى أن فى القصيدة عدداً غير قليل من أسماء الله الحسنى وصفاته مما لم يكن للجاهليين عهد ببعضه . وهى « المولج الليل فى النهار ... ، والخافض ، الرافع ، الخالق ، البارى ، المصوّر ... » .

وثلثة سبب آخر قاطع فى أنها لا يمكن أن تكون جاهلية البنة ، بل ولا يمكن أن يكون قد قالها أمية ، وهو أن فيها ذكرأ لفتح بلاد فارس وخضوعهم لسلطان العرب . وهذا الحدث لم يقع بطبيعة الحال إلا فى عهد عمر بن الخطاب ، وقد مات أمية قبل ذلك بزمن طويل (٥) . تقول القصيدة :

يا أيها الناس ، هل ترون إلى فراس بادت وخذلها رغمـاً ؟
أمسوا عبيداً يرعون شـاءـكم كانواـ كانواـ ملكـمـ خـلـمـاـ
إذن فالقصيدة قد قيلت بعد الإسلام لاجدال فى ذلك ،
وبالتالي لا يمكن أن تكون لأمية ، فهل يمكن أن يكون صاحبها

إننى أستبعد هذا جدا . ذلك أن هذه الإشارة إلى زوال ملك فارس وعلى هذا النحو الذى فى القصيدة ينـم عن أن العرب كانوا لايزالون به حديثى عهد ، فالشاعر يتحدث عنه حديث المبهور . وهذا أمر طبيعى ، فقد اشترك النابغة فى فتح فارس ، ورأى بنفسه كيف انهارت الإمبراطورية الفارسية تحت الضربات الإسلامية وخضع الفرس للعرب بعد أن كانوا هم السادة أصحاب السلطان . أما فى عصر نابغة بنى شيبان فكان قد مضى على ذلك زمن طويل ولم يعد العرب يرون فيه شيئاً غير عادى ، فقد اتسعت إمبراطوريتهم شرقاً وغرباً واكتسحت البلاد والأمم ، وأصبح فتح فارس من ذكريات الماضي . إن من الطبيعي أن يشير نابغة بنى شيبان ، أثناء مدحه للوليد بن عبد الملك ، إلى فتح طرندة فى آسيا الصغرى مثلاً فى عهد ذلك الخليفة الأموي ويتحدث عن الروم (٦) ، لكن ليس من الطبيعي أن يترك أحداث عصره وينذهب يتحدث عن القضا ، على دولة الأكاسرة .

ثم إن نظم آيات القرآن على هذا النحو يدل هو أيضاً على أن نزول القرآن كان لايزال غضاً . إن الشعراء العرب لم يكفوا على طول الأعصار عن الاقتباس من القرآن الكريم ، لكن ليس

بها الالتصاق بألفاظه وعباراته ومعانيه .

وإلى جانب هذا ، فإن أقدم مؤرخى الأدب العربى كابن قتيبة وابن سلام والأغانى قد ذكروا هذه القصيدة للنابغة الجعدي لا للنابغة الشيبانى . وقد أخذ الدارسون المحدثون بهذه النسبة ، ولم أجد أحداً من الذين رحمت إليهم وأنا بصدق إعداد هذه الدراسة قد ذكرها لنابغة بنى شيبان ، اللهم إلا د. سامي مكى العانى ، الذى جعلها له فى كتابه « الإسلام والشعر » (مع القول فى الهاامش إنها منسوبة إلى الجعدي فى « الشعر والشعراء ») ، ثم عاد فى نفس الكتاب فنسبها دون تردد إلى نابغة بنى جعدة دون أن يشير إلى النابغة الشيبانى أدنى إشارة (١٧) .

الهوامش

- ١- طبقات فحول الشعراء / ١ - ١٢٧ / ١٢٨ . وقد ورد هذا الخبر بنصه تقريباً في « الأغاني » ٤ / ١٣٠ ، إلا أنه فيها قد دخل على الحسن والحسين لا على الحسن وحده .
- ٢- الاستيعاب / ٣ / ٥٥٣ . وانظر أيضاً البغدادي / خزانة الأدب / ٥١٤ .
- ٣- نفس الموضعين في الهاامشين السابقين .
- ٤- وأيضاً لا يمكن أن يكون قد قالها بعد الإسلام ، وإنما كان معنى ذلك أن هذا العاقد الذي كان يتاجج بفضلاً للرسول ودينه قد طاوعته نفسه للتاثير بالقرآن الذي نزل على الرسول والاقتباس منه بهذه السعة وهذا الالتصاق في قصيدة من قصائده ، بكل ما يدل عليه هذا للقصاصي والداني من اعترافه بعظمة ذلك القرآن إلى حدّ أن يتخذ هو ، أمية بن أبي الصلت ، مثلاً أعلى له يأخذ منه ويستلهمه .
- ٥- مات في السنة الثانية أو التاسعة للهجرة . انظر البغدادي / خزانة الأدب / ١ / ١٢١ - ١٢٢ .
- ٦- ديوان نابغة بنى شيبان / دار الكتب المصرية / ١٢٥١ هـ - ١٩٣٢ م / ٥٢ .
- ٧- انظر « الإسلام والشعر » / عالم المعرفة (٦٦) / الكويت / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م / ٨٧ ، ٢٥٢ .

الرأى في شعر النابغة

وصف يونس النابغة الجعدي بأنه « أفعى العرب » وأنه « أوصاف الناس لفرس » (١) .

وعن أبي عمرو بن العلاء : « سئل الفرزدق عن الجعدي ، فقال : صاحب خلقان : يكون عنده مطرف بألف ، وخمار بواف (٢) . قال الأصمى : وصدق الفرزدق . بينما النابغة فى كلام أسهل من الزلال وأشد من الصخر إذ لان فذهب . ثم أنشدنا له :

سالك همٌ ولم تطربِ
وبيت بيته ولم تتصبِ
وقالت سليمى : أرى رأيَه
كناصية الفرس الاشتَهِب
وذلك من وقعات المنزون
ففيهى إليك ولا تعجبَ
أتين على إخواتي سبعَة
وعُثُن على ربِّعِي الأقربِ
وبعده أبيات . ثم يقول بعدها :
فأدخلك الله بردِ الحنَّا ن جذلان فى مدخل طيب
قال الأصمى : وطريق الشعر إذا دخلته فى باب الخير
لان . ألا ترى أن حسان بن ثابت كان علا فى الجاهلية والإسلام ،
فلما دخل شعره فى باب الخير من مراثى رسول الله صلى الله عليه وسلم وحمزة وجعفر رضوان الله عليهم وغيرهم لان شعره .
وطريق الشعر هى طريق الفحول ، مثل امرىء القيس وزهير

والنابغة ، من صفات الديار والرَّحْل والهُجَاء والمديح والتَّشَبِيب بالنساء وصفة الخمر والخيل والافتخار . فإذا أدخلته في باب الخير لان » (٣) .

وقال الأصمى أيضاً في نفس هذا المعنى الأخير : « الشعر نَكِدْ بابه الشَّرّ ، فإذا دخل في الخير ضعف . هذا حسان بن ثابت فعل من فحول الجاهلية ، فلما جاء الإسلام سقط شعره . وقال مرة أخرى : شعر حسان في الجاهلية من أجود الشعر ، فقطع متنه في الإسلام لحال النبي صلى الله عليه وسلم » (٤) . وكان الأصمى يحكم على النابغة بقلة التكلف ويمدحه لهذا السبب (٥) .

وعن الأصمى أيضاً أنه قد أفعِم ثلاثين سنة بعد قوله الشعر ، ثم نبغ فقال الشعر مرة أخرى ، وأن شعره الأول قبل الإفحام جيد ، أما الآخر فكانه مسروق وليس بجيد (٦) . ووضعه أبو زيد القرشي على رأس أصحاب المشويات (٧) . كما أورد ابن قتيبة له شيئاً سبق إليهما وأخذهما عنه غيره ، إذ قال في وصف الفرس :

كَانَ مَقْطَطَ شَرَاسِيفَهُ إِلَى طَرْفِ النَّقْبِ فَالْمَنْقُبِ
لُطِمْنَ بُثُرَسٍ شَدِيدَ الصَّفَا لَمَنْ خَشِبَ الْجُوزَ لَمْ يُثْقَبَ
فَأَخْذَهُ ابْنُ مَقْبِلٍ فَقَالَ :

كأن ما بين جنبيه ومتقببيه من جزءه ومناط القلب ملطوم
بُسرسِ أعمى لم تُنْفَرِّ مناقبِه مما تغيّر في آطامها الروم
وقال النابغة :

أرأيت إن بكرت بليل هامتى وخرجت منها باليًا أو صالى
هل تُعْيَشُنَّ إيلى على وجهها بمالى
فأخذه شاعر وقال :

أرأيت أن بكرت بليل هامتى وخرجت منها باليًا أثوابى (٨)
وأضاف أبو الفرج عن الأخفش أن النابغة هو أول من سبق

إلى الكنية عن اسم من يعنيه بغيره ، فإنه قال :
أكنت بغير اسمها وقد علم الله له خفيات كل مكتبه
 وأن الشعرا ، اتبعوه فيه ، ومنهم أبو نواس حيث يقول :
سأل القادمين من حكمان كيف خلقو أبا عثمان ؟
فيقولون لى : جنان كما سرّك في حالها ، فسل عن جنان
مالهم لا يبارك الله فيهم ؟ كيف لم يعن عنهم كثاني ؟ (٩)
وجعله ابن سلام على رأس الطبقة الثالثة من فحول
الجاهلية ، ووصفه بأنه كان « شاعراً مفلقاً » ، ثم عاد فقال إنه
كان « مختلف الشر مغلباً » ، ثم ساق رأى الفرزدق السابق ذكره
ولكن بصيغة مختلفة بعض الشيء قائلاً : « كان الأصمى يمدحه
بهذا وينسبه إلى قلة التكلف » ، كما ذكر أن ليلي الأخيلية وأوس
بن مغرا ، القرىعي وعقايل بن خالد العقيلي قد غلّبوا عليه : الأولان

بالشعر ، رغم أن أوسا أقل شاعرية منه ، والثالث بكلام عادى ،
إذ كان مفعما لا يقول الشعر (١٠١) .

وقد أورد المزرياني بعض المأخذ التى عيبت على شعر النابغة .
فإلى جانب الملاحظة السابقة التى أبدتها الرشيد حول قوله عن أخيه
إنه « إذا لم يرح للمجد أصبح غاديا » وأنه كان المفروض أن يقول
بدلاً من ذلك : « إذا راح للمعروف أصبح غاديا » ، مما وافقه
عليه الأصمى قائلًا : « أنت والله يا أمير المؤمنين فى هذا أعلم
منه بالشعر » ، هناك ما أنكره آخرون على الشاعر من قوله :
و**شمولٍ** **قهرة** **باكرتهما** فى التبشير من الصُّبُحِ الْأَوَّلِ
إذ إنه أراد « مع التبشير الأول من الصبح ، فقدم
وآخر » ، وكذلك قوله يصف انصراف امرأة عنه :
ومارابها من ريبة غير أنها رأت لِمَتَى شابت وشاب لداتها
فقد قالوا مستنكرين : « فأى ريبة أعظم من أن قد رأته
شاب ؟ » (١٢) .

وفي « المصنون في الأدب » ، في أثناء الكلام عن أدمج

بيت قاله العرب ، سبق رأى يقول إنه بيت النابغة في رثاء أخيه :
فتسى تمَ فيه مايسِرَ صديقه على أن فيه مايسو، الأعاديا (١٣)
ولكن دون أن تساق حيثيات هذا الحكم .

وقد صنفه جرجي زيدان ضمن طائفة الشعراء الذين اشتهروا
بوصف الخيل دون سواها كما يقول ، وهم النابغة نفسه وأبو داد
الإيادى وطفيل الغنوى (١٤) .

وقال أحمد السكندرى ومصطفى عنانى إن النابغة لم يكن يُشَقَ له
غبار فى وصف الخيل وإنما كان مطبوعاً فى الجاهلية والإسلام ،
وقارنا بينه وبين زهير ومدرسته من المحكّمين فقالا إنما لم يكن
ينتحى طريقتهم فى المبالغة « فى تهذيب الألفاظ وتنقیح المعانى ،
بل كان يلقى القول على عواهنه وكما تهذيه إليه بدیهته ، فتارة
يأتى جيداً متيناً ، وتارة يجىء ضعيفاً رديئاً ، وأحياناً يسلك بين
ذلك سبيلاً ». ثم قالا « ، ومع ذلك كله كان مغلباً ، ماهاجى
أحداً إلا غلبه » (١٥) .

وقد أشار أيضاً إلى تقدمه فى وصف الخيل السيد أحمد
الهاشمى ، الذى ذكر قول الأصمى إن هناك « ثلاثة يصفون الخيل
لایلتحقهم أحد : طفيل الغنوى وأبو داد الإيادى والنابغة
الجعدى » ، كما وصفه بأنه كان « شاعراً مطبوعاً فى الجاهلية
والإسلام » (١٦) .

ويصف د. شوقى ضيف أكثر من قصيدة له بأنها « رائعة » (١٧) ، كما مرّ بنا وصفه لميئته المختلف حول نسبتها بأنها « موعظة بلية » (١٨) . كذلك ذكر الأستاذ الدكتور ما قيل عن غلبة عدد من الشعراء للنابغة رغم أنهم لم يكونوا على مستوى في موهبة الشعر ، وإن كان قد جوَّز أن يكون سبب ذلك « تعمق الإسلام في نفسه ... ، إذ كان يتحرج من المضى في الهجاء، المقدع » (١٩) . وعلى طول الفصل الذي خصمه له نراه يعمل على إبراز أثر الإسلام في شعره .

والنابغة ، عند د. عمر فروخ ، هو « شاعر مخضرم مطبوع فسيح يجري في شعره على السليقة ولا يتكلف صنعة ، إلا أن شعره شديد التفاوت : منه الجيد البارع ، ومنه الرديء، الساقط ... وكان من أوصاف الناس للفرس ... وفي شعره شيء من الإيقاع ... وتكثر في شعره الألفاظ الإسلامية » (٢٠) .

وفي « أدب مصدر الإسلام » للدكتور محمد خضر نقرأ أنه كان « يقول الشعر عفو الخاطر ولا يعني بهذيبه وتزيينه ، فكان منه الجيد والرديء ، ولذا كان من الشعراء المغلَّبين ... وكان سمحاً يعترف بالهزيمة ولا يضمُّ في نفسه شرًا ولا حقدًا » (٢١) .

ويشير هنا الفاخوري إلى شهرة النابغة بوصف الخيل ، ويقول

إنه كان « شاعرا مطبوعا يرسل كلامه إرسالا من غير تأن ولاتنقيع ، ولهذ حوى شعره الجيد والردي . ويمتاز كلامه عموماً بالموسيقى العذبة والسلسة والانسجام » (٢٢) .

ويوجز د. خليل إبراهيم أبو ذياب ، في نهاية دراسته المفصلة لحياة النابغة وشعره ، رأيه في هذا الشعر قائلا إننا « إذا رجعنا إلى ما بين أيدينا من شعر الجعدى فإننا نستطيع أن تتلمس آثار الجمال وتحسّن مظاهر الإبداع والجزالة والرصانة والفحولة تشيع في قصائده بكل وضوح ، حتى إنها تشكل السمة الفالبة عليها » (٢٣) .

هذه آراء بعض النقاد والعلماء في شعر النابغة في القديم والحديث ، ويمكن تلخيصها فيما يلى : أن النابغة أشعر ، أو على الأقل من أشعر ، من وصفوا الخيل .

أن شعره متفاوت . وقد عزا الأصمعى ذلك إلى أن شعره الذى قد يكون سلساً أو صلباً حسب الموضوع المطروح ما إن يدخل فى باب الخير حتى يضعف ويلين . ثم خرج الأصمعى من ذلك إلى القول بأن هذا الحكم ينطبق على شعر المخضرمين فى الإسلام . أنه كان شاعرا متقدماً ومفلقاً ، ومع ذلك كان مغلباً . وقد

رأينا كيف جوز د. شوقي ضيف أن يكون مرد ذلك إلى أن الإسلام
كان يمنعه من المضي في الهجاء المقذع .

أنه كان شاعراً مطبوعاً في الجاهلية والإسلام .

أنه لم يكن يهتم بتهذيب الألفاظ وتنقیح المعانی ، فهو ليس
من شعراً الصنعة . ويرجع بعضهم إلى ذلك ما قيل عن غلبه أمام
من دخل معهم في مهاجرات .

أن شعره يتماز بالموسيقى العذبة والسلسة والانسجام .

أنه سبق إلى بعض المعانی والصور التي قلدھ فيها من جاءوا
بعدہ .

أنه قد أخذت عليه في شعره أشياء .

وسوف تناول الآن هذه الآراء بالدرس والتحليل . وبالنسبة
لوصفه للخيل فقد سبق أن بینت رأیي فيه مما یعنينى عن إعادة
القول فيه هنا .

وأمّا أن شعره وشعر غيره قد لان في الإسلام فهذه مسألة
لابد من التثبت في معالجتها لأهميتها الشديدة .

لقد قيل في موقف الإسلام من الشعر كلام كثير في القديم
والحديث ، وانتهى رأى العلماء ومؤرخى الأدب والنقاد بوجه عام
إلى أن الإسلام لا يقف من الشعر موقف عداء ، بل ينظر إلى

مضمونه وغايته ، وعلى حسبهما يكون الحكم له أو عليه . إنه يحرّم مثلاً أشعار الفجور والفحش والحض على حرب الله ورسوله ، ولكنه لا يحرّم التعبير عن المشاعر الإنسانية السوية ... وهكذا . وهذه مسألة قد فُرغ منها تقريباً (٢٤) . بيد أن الأمر فيما يتصل بمقدولة ضعف الشعر في الإسلام مختلف ، إذ لا يزال عدد من الدارسين يردّدونها ، وإن أضافوا أسباباً أخرى إلى ما قاله الأصمعي من أن الشعر إذا دخل في الخير لان ، لأنّه فن نكد لا يزدهر إلا على الشرّ . ومن هؤلاء د. نجيب البهبيتي ، الذي يدعى « أن ضعف الشعر في الإسلام نظرية صحيحة » ، ويذهب في ^{بعض} التدليل على ذلك (٢٥) ، ود. محمد عبدالعزيز الكفراوى ، الذي يقول « لعل روح الدين الجديد الذي ينهى عن التعظم بالآباء ويحرم الخمر وينفر من التعرض لأحساب الناس بالهجا ، وأعراضهم بالتشبيب ... كان سبباً في ضعف الشعر العربي بضعف الدوافع إليه » ، وإنّ حرص المسلمين الأوائل على العمل قد صرفهم عن قول الشعر ، وإن القرآن قد شغلهم بأسلوبه ومضمونه عن التفكير في سواه ، ومنعهم من محاولة محاكاته (٢٦) .

ويقرّر د. عبدالقادر القط في هذا الصدد أننا « لو قارنا بين شعر هذه المرحلة (أي مرحلة صدر الإسلام) والشعر الجاهلي

لادركتنا دون عنا، أن هناك بونا شاسعاً بين الشعرتين من حيث الأصالة والمستوى ، وأن الشعر في صدر الإسلام قد فقد في معظمه ، وبخاصة الشعر السياسي ، ما في الشعر الجاهلي من خيال حتى واقتدار لغوي والتتصاق بالطبيعة والمزاوجة بينها وبين مشاعر الإنسان ، وأنه في كثير من وجوهه قد أصبح أقرب إلى النظم منه إلى الإبداع » ، وإن سارع إلى الاستدراك بأن هذه الظاهرة كانت أوضع ماتكون في شعر المنافضات بين الإسلام والكفر ، أما « الذين كانوا أقل انغماساً في تلك العرب الكلامية فإنهم ... مضوا يقولون الشعر كما كانوا يقولونه في الجاهلية على شيء من الاختلاف اليسير كان لابد أن يكون وهم يعيشون في ذلك المجتمع الجديد » . ثم يستدرك الأستاذ الدكتور مرة ثانية بأن ذلك الضعف كان قد بدأ في الحقيقة قبيل الإسلام لابعده ، إذ كان عصر الفحول قد انقضى تقريراً ولم يبق إلا شعراً مقلون لا يبلغون شأنهم (٢٧) .

ومن الذين قالوا أيضاً بضعف شعر المخضرمين د. عمر فروخ ، الذي يرى « أن إنعام النظر في أسلوب شعر المخضرمين يدلنا على أن الجانب الأقل منه كان قد بقى على نسجه التين كشعر العطينة وبعض شعر حسان . أما الجانب الأكبر منه فقد

أصبح أضعف نسجاً وأقل براعة وأكثر تخلخلاً لضيق المجال الوجданى الذى كان للجاهليين من قبل . لـما نهى الإسلام عن المفاحرات والمنافرات وزعَ عن الغزل والهجاء، وثبتَ عن المبالغة والمغالاة فقد الشعرا، الميادين الرحيبة التي كانوا يُجرون فيها ألسنتهم في الجاهلية ، ثم ذهبت القيود الجديدة بالطرق المعبدة التي كان الشعرا، يسلكونها في الجاهلية ، وخصوصاً حينما جعل المخضرون يتتكلفون شق طرق جديدة ينهجون عليها في نظم الأغراض المستحدثة » (٢٨) .

ويعزو د. عباس الجارى ظاهرة ضعف الشعر الإسلامي المتعاة إلى « أن الأديب لا يستطيع أن ينبع في حال التوتر والانفعال ، وإن فعل يكون إنتاجه غير ذي قيمة ، وإن تأثر فتأثيره وقتى ليس غير . والسبب أنه لا يستطيع الإنتاج البعيد إلا بعد أن تهدأ ثورته وتختتم تجربته ويكتمل شعوره ويتعقل وجداًه » . وهو يرى أن شعرا، الإسلام « لم يتح لهم ، وخاصة في السنوات الأولى ، وتعتبر سنوات انتقالية ، أن يتأثروا تأثراً نفسياً وعقلياً يكون من العمق بحيث يغير وضعيه الشعر شكلاً ومضموناً وبحيث يجعل الشعرا، يعبرون في جودة وإبداع عن تفاعلهم مع الدين وانفعالهم به » (٢٩) .

والدكتور عبدالحليم حفني هو أيضا من الذين تعرضوا لهذه القضية . وقد جاءت دراسته لها مفصّلة ، وكان رأيه أن الشعر قد ضعف فعلاً في الإسلام ، وساق عدة أسباب لذلك . ثم انتهى إلى أن هذه الأسباب تعود جميعاً إلى أن طبيعة الشعر تختلف عن طبيعة الإيمان ، إذ الإيمان يقوم على الاستقرار ، أما الشعر، فهو كلَّ وقت في حال ، ولابد لهم حين يشعرون أن يكونوا دائماً محلقين مطوفين متقلبين بين أجواء الخيال وأفانيين التصوير (٣٠) .

وترى سلمى خضرا، الجيوسي أن الشعر في صدر الإسلام أضعف منه في الجاهلية وفي العصر الأموي معاً . وهي ترد ذلك إلى التغييرات التي جاء بها الإسلام في المبادئ، والأفكار والتي لم يستطع العرب، وبخاصة الشعراء، منهم، أن يستجيبوا لها عاطفياً كما ينبغي ، وإلى أنه كان من الصعب على الشعر أن يغير من تقاليده بالسرعة المطلوبة . وهي تؤكد أن شعر حسان الإسلامي ، عدا القصائد الهجائية ، يفتقر إلى تلك الحرارة اللاحبة التي كانت في شعره قبل ذلك (٣١) .

وهناك غير هؤلاء قالوا بمثل قولهم أو بشيء منه قريب ، ومنهم د. يوسف خليف (٣٢) ، ود. محمد إبراهيم جمعة (٣٣) ،

ود. محمد طاهر درويش (٣٤) ، ود. محمد عبد المنعم خفاجي (٣٥) ، وكذلك المستشرق غرستاف فون غرونباوم (٣٦) . هذه هي مقوله الأصمعى ، وهذه أصداؤها . والطريف أنه قد رُوى للأصمعى نفسه رأي آخر فى شعر حسان بن ثابت يناقض مقولته تلك . قال : « حسان أحد فحول الشعراء » فاعتراض عليه أبو حاتم بأن له أشعاراً لينته ، فرد عليه الأصمعى قائلاً : « تُنسب له أشياء ، لا تصح عنه » (٣٧) . كما أن آراء الأصمعى في النابغة ، حسبما وصلت إلينا ، هي أيضاً مضطربة كما هو واضح مما نقلناه عنه فيما مرّ .

على أية حال ، هذه المقوله تحتاج إلى أن تتناولها بالنقاش نظراً لغطورة القضية التي أثارتها . ونبداً بالناحية النظرية : لقد ظن الأصمعى أن الشعر نكد لا يزدهر إلا إذا تناول موضوعات الشر ومعانيه . وهذا كلام ملقى على عواهنه ليس عليه من دليل . والعبرة في العقيقة بموهبة الشاعر واستعداده النفسي واحتشاده وحسن اختياره للوقت وللظروف التي يقبل فيها على القصيدة . وكم من شعر دينى قد بلغ الروعة في الجمال والتأثير والامتياز ! وكم من شعر قيل في الهجاء المقدع أو الإشارة الجنسية المفحشة وفشل فشلاً ملحوظاً ! ثم لقد عد الأصمعى مراتئ حسان في الرسول

عليه السلام وصحابته من ذلك اللون من الشعر الذى لم ينبع فيه الشاعر لدخوله كما قال فى باب الخير . ولاندرى على أى أساس عدَ العالم اللغوى هذا الرثاء بالذات من باب الخير ؟ هل هناك رثاء يدخل فى باب الخير وأخر يدخل فى باب الشر ؟ أليس الرثاء عموماً هو التعبير عن حزن الفقد ولو عته والصدمة التى يشيرها الموت فى نقوس الأحياء وذلك الأم الكونى الذى يحسونه حين تذكّرهم هذه الصدمة بأنهم أيضاً عما قريب ميتون مدفونون فى ذلك القعر المظلم ومتروكون للدود ينهشهم ليستحيلوا بعد ذلك إلى تراب ؟ فلم إن كان هذا الرثاء فى الرسول وصاحبته قيل إنه قد دخل فى باب الخير فضعف ولاز ؟ هل يكون الرثاء خيراً أو شراً بحسب شخصية المرثى ؟ وهل نفهم من هذا أنه لو كان فى قاطع طريق مثلاً أو فى حاكم مستبد باطش لأنّى قوياً ممتازاً ؟ الحقيقة أن الضعف فى مقوله الأصمعى واضح أشد الوضوح . قد كنتُ أفهم أن يقال مثلاً : لعل حسان ، فى بعض مرجياته فى الرسول والصحابة ، لم ينتظر الوقت والحالة النفسية الملائمين للنظم فتسرع ونظم شعراً ضعيفاً تحت وطأة الإحساس بأن ذلك أمرٌ واجب لامعنى له عن التقدم للقيام به ، وكأنه لاينظم قصيدة رثاء بل يؤدى واجب عزاء . أما أن يقال إن رثاء هذا قد دخل فى باب

من أبواب الخير فضعف ولأن فهذا مالاً أفهمه . وإننا لنتساءل :
وما رأى الأصمى في حائمة حسان في حمزة ونونيته في عثمان
وهما من أقوى الشعر الثنائي ؟ ثم ما رأيه في مناقضاته لشعراء
مكة المشركين وذبه عن الإسلام ورسوله عليه السلام وهي شعر قوى
لا يقل إن لم يزد في قوته وجودته عن شعره العاجلى ؟ ترى هل
يقول إن الدفاع عن الدين من أبواب الشر ولذلك جاء هذا الشعر
قويا ؟

على كل حال ، لأن يريد أن ننسى أنفسنا في المناقشة النظرية ،
إد المهم أن ننظر في دواوين الشعراء المخضرمين ونقارن بين شعرهم
في العصرية وشعرهم في الإسلام لنرى مدى صدق الملاحظات التي
أبدتها الأصمى ، فذلك هو الفيصل في الأمر .

لقد رجعت إلى عدد من دواوين هؤلاء الشعراء مثل حسان
وكعب بن زهير وعمرو بن الأهتم والزيرقان بن بدر وعمرو بن
معدىكرب الزييدى والعباس بن مرداس السلمى والخنساء ومعن بن
أوس والخطيبة ، فضلا عن ديوان النابغة الجعدي بطبيعة الحال .
وهذه هي بعض الملاحظات التي خرجت بها فيما يختص بالنقطة
التي نحن بصددها :

أن هؤلاء الشعراء لم يتخلوا بعد الإسلام عن الموضوعات التي

كانوا ينظمون فيها في الجاهلية ، بل ظلّوا يفخرون بأنفسهم وأقوامهم ويهجرون خصومهم ويتفزّلون كما كانوا يتغزلون من قبل ، ويرثون أحباءهم ويرضون ويسخطون ... إلخ مثلاً كانوا يفعلون قبل إسلامهم .

لنأخذ مثلاً لامية كعب ، التي سُمِّيت بالبردة والتي أنشدها بين يدي الرسول : ترى ماذا قال فيها ؟ لقد افتتحها بالتفزّل في سعاد وأطّال الوقوف عند محاسنها وبخاصة طعم ريقها الذي أخذ يتفنّن في وصف حلاوته وتشبيهه بخمر معنقة ممزوجة بما باردٍ تُنْوِي في اختيار الجدول الذي أحضر منه والوقت الذي استُقِي فيه . ثم خرج من ذلك إلى تصوير ناقته مثلاً كان يفعل شعراً الجاهليّة ، وهو ماعة الأصمعي في قوله تلك بابا من أبواب الشر كما يعرفه الفحول الجاهليون . كذلك ففي القصيدة هجا ، أليم للأنصار أثار من لذّي المهاجرين وأحقنهم عليه ، ولم يرضوا إلا بعد أن عاد فنظم قصيدة في مدحهم ، وهي بالنسبة قصيدة في منتهى القوة (٣٨) ، بل هي أقوى شعره كله وأحسنها ، وليس في شعره الجاهلي ما يدانيها .

ولكعب أيضاً قصيدة لامية جميلة بدأها بوصف المشيب وتبرم زوجته به لهذا السبب وردة عليها بأن حالهما واحدة ، فهي أيضاً

قد شابت مثله ، فلم التبرم إذن ؟ ثم يمضي فيتذكر أيام شبابه ولهوه مع أصدقائه وشربهم الخمر ، ويصف فعلها في نفوسهم ، وينطلق على ناقته في الصحراء في بهيم الليل مصوّراً عزيف الجن وهيمتهم التي لا تُعقل ، والذئب الذي صاحبه في هذه الرحلة : لوناً وعواً، وجسماً ومشياً ومشاعر ، وكذلك الغراب . وحتى البعير الذي سلطته ناقته نراه يتثبت عنده ويصفه . وهو يصف أيضاً خوفه وتردداته عندما أحس بالإرهاق : أينما فيعود عليه وعلى ناقته الذئب أم يسلم أمره للرحمٰن ؟ وينتهي بأن يضع رأسه ويستريح ، لينهض آخر الليل فيركب ناقته وينطلق مرة أخرى في سبيله . وفي آخر القصيدة يتمدح بفنِّه الشعري ويذكر معه الحطينة في هذا الصدد .

فما رأى الأصمّي في هذه القصيدة وهي من شعر كعب الإِسلامي ؟ أتراه يقول إنها قصيدة ضعيفة لهذا السبب ؟ لا أظن ذلك بحال ، فالقصيدة من أروع ما خلّف لنا كعب (٣٩) . وليس في شعره العاجلاني أيضاً ما يساويها .

وهناك رائيته في مدح على بن أبي طالب ، تلك القصيدة التي افتحتها ، كما افتحت اعتذاريته للرسول عليه السلام ، بالغزل (ولكن في رملة لا سعاد) ، والشكوى من آلام جبه لها ، ووصف رحلتها هي وقومها ... إلخ . وهي أيضاً من الشعر

الجميل ، وقد قالها بطبيعة الحال بعد الإسلام (٤٠) .

وللزيرقان قصيدة إسلامية يفاخر فيها بقومه قالها في عهد الرسول عليه الصلاة والسلام حين أتاه مع قبيلته يعلنون إسلامهم في عام الوفود ، وأخرى مثلها في الفخر بقبيلته (٤١) ، وقد قالها أيضا في عهده صلى الله عليه وسلم (٤٢) ، وغير ذلك . ولعمرو بن الأهتم أيضا مقطوعة صغيرة يهجو فيها أحد أعضاء وفد قبيلته على الرسول عليه السلام ويعيره بأنه رومي الأصل (٤٣) . وله مثلها في الفخر بنفسه ويقومه أمام عمر بن الخطاب (٤٤) . وكلتا المقطوعيتين قوية عنيفة .

ثم هذا هو العباس بن مرداس السلمي يفاخر بنصره هو وقومه للرسول يوم حنين قائلاً :

بأنك من غضي له
نصرنا رسول الله من غضي له
حملنا له في عامل الرمح راية
ونحن خضبناها دما فهو لونها
بالف كمّ لاتعد حواسه
يندو بها في حرمة الموت ناصره
غداة حنين يوم صفوان شاجره (٤٥)
وانظر إلى تمدحه أمام عروسه بما فعل في ذلك اليوم :

بسواد حنين والآنسة تُشرع
ولا هل أنت عَرِئَى مكرتى ومقدمى
وهل إذا ما النفس جاشت لها: «قرى»
كان الشهان المرسلات كراكب
وكيف ردتُ الخيل وهي مغيرة
نصرنا رسول الله في العرب سبعة
إذا أذبرت عن عجها وهي تلمع
بزورا، تعطى باليدين وتنبع
وقد فرّ من فرّ عنه فاقشع (٤٦)

وعندما أعطاه الرسول صلى الله عليه وسلم أباعر ، وكان قد
أعطى كلا من الأقرع بن حابس وعيينة بن حصن مائة بعير ،
نظم أبياتاً غاضبة جعلت الرسول يزيله في العطا ، حتى
رضي (٤٧) .

ولقد ظلت الخنساء ترشى أخاها صخرا في الإسلام كما كانت
تفعل في الجاهلية . وهذه المرانى من نفس مستوى مرانيتها له قبل
إسلامها أمّا وحرقةً وقوه سبك وتعداداً لآثار الأخ الفقيد . ويمكن
الرجوع إلى ديوانها والمقارنة بين الشعرين . وهذا مثال :

ناقت بي الأرض وانقضت مخارمتها حتى تخاشعت الأعلام والبياد
وقائلين : « تعزّى عن تذكره فالصبر . ليس لأمر الله مردود »
فقد ثوى يوم متّ البدر والجسود
يا صخر ، قد كنت بدرا يستضا به
فالیوم أمسكت لايرجوك ذو أمل
وربّ ثغر مهولٍ خضت غرته
نصبت للقوم نبـه فضل أعينهم (٤٨)
ولعمرو بن معدىكرب مثلاً قصيدة قصيرة يهاجم فيها سعد بن
أبى وقاص لأنه وزع يوم فتح القادسية الأموال على أفراد الجيش
على قدر ما قرروا من القرآن مما أثار عمراً وأخرين ودفعهم إلى
رفض قسمتهم إلا أن يفضلهم على الناس . وهو يبدأ الأبيات
بحديث الطيف ويذكر الشباب ومرابع الديار البعيدة ، ثم يقول :
ألا أبلغ أمير القوم سعداً فقد كذبت أليته وجاراً

علىٰ فقد أتى ذمّاً وعارة
 هُلْتَ ، لقد نسيت جِلادَ عمرو
 أطاعُنْ دونك الأعداء، شرزا
 بِسَابِ الْقَادِيسَةِ مُسْتَمِيتَا
 أَكَرَ عَلَيْهِمْ مُهْرِي وأَحْمَى ،
 جَزَاكَ اللَّهُ فِي جَنَبِي عَوْقَا وَبَعْدَ الْمَوْتِ زَوْمَا وَنَارَا (٤٩)
 ولعمره أبيات أخرى في نفس الموضوع تحمل الروح ذاتها :

روح السخط والافتخار ببلائه في ذلك الفتح (٥٠) .

وإن الإنسان ليتساءل : ماذا يقول الأصمى في هذه الأشعار
 وقد قيلت في الإسلام ؟ أهى من الشعر اللين الضعيف ؟ وكذلك
 ماذا يقول في بابها ؟ أهو باب خير أم باب شر ؟ قد ينتقد قوم
 عمراً لأنه بذلك ينشر على قائد وبناطحه والموقف خطير عسير
 لا يتحمل عصياناً قد يثير الفتنة . ولكن ماذا يفعل الجندي عندما
 يرى نفسه قد أحسن البلاء، وبذل أقصى طاقته ثم يُعطى أقل من
 غيره لا لشيء، إلا لأنه لا يحفظ من القرآن مثلما يحفظون ؟ إن
 حفظ القرآن هو إنجاز طيب ولا مشاحة فيه ، وبالذات في ذلك
 العصر الأول . إلا أن المكافأة عليه ليس مكانها العرب ، حتى
 لا يوغر ذلك الصدور ويثبتط العزائم .

ومن الشعرا، المخضرمين الذين رجعت إلى شعرهم معن بن
 أوس المُزنى . وقد وجدت له مثلاً قصيدة يقتتها بالتفزل في

حبيبته واصفاً لونها وعيونها وجيدها وفمهما وريقها وأسنانها وأنفها
وشعرها وكفلها وساقها وكتعبها المتلىء باللحم وصوتها الغنج
المنفوم :

سبنى عينى جىزدر بخبلةٌ
وجيد كجيد الرئم زته النظمُ
عليها إذا دَتَتْ غدائِرها كَرَمٌ
وأشبَّ رفاف الثناء لَهْ ظَلْمٌ
وكعب علاء اللحم ليس له حجمٌ
ويقتلهن منها التدلل والثغُرمُ
نَتْ فَى نعيم وانهمل بها الجسم
توالدها ييضمُّ حرائر كانذمى
نعم لا ييضمُّ قصار ولا خشمٌ
لُبَاخِيَّة عجزاء، جُمَّ عظامها
نها كفَلْ راب وساق عميقة
تصبَّدُ الباب الرجال بأنهها
لُبَاخِيَّة عجزاء، جُمَّ عظامها
ثم يخرج الشاعر من ذلك إلى مدح قومها بالكرم والبطولة في شعر
كله مثل هذا الطراز قوة وجمالاً . والقصيدة إسلامية (٥١) .

ولن أحاول أن أحاج من يقول إن هذا الغزل قد يكون داخلاً
في باب الشر ، لأن المحاجة في هذا قد تطول (٥٢) . ولكنني
أسأل : هل مدح قوم بالكرم والشجاعة صدقأ هو أيضاً يدخل في
هذا الباب ؟ أم تراه يدخل فيه أيضاً الأبيات من العادى والعشرين
إلى الرابع والخمسين من القصيدة ذاتها وهى في الحديث عن رجل
من ذوى رحم معن يبغضه أشد البغض رغم أن الشاعر يبذل له
صافى مودته ويخلص له النص ويعمل دانياً لصلحته ؟ ويصور
معن حيرته وحرج موقفه حينئذ ، إذ هو لا يستطيع أن يعادى ذا

رحمه وفى ذات الوقت إذا عفا عنه وصفح لم يزدد إلا شرًا وأشرا .
كما يصف نفاد حيله كلها فى كسبه . ثم يقول إنه لم يزل فى لينه
له وتعطفه عليه تعطف الأم على ولدتها وتواضعه معه وصبره على
سخافاته وكرهه وإيذانه حتى قدر فى نهاية الأمر ، وبعد جهد
جاهد ، أن يستل من نفسه أضفانها وتحوله من عدو كاشح إلى
قريب مسالم . والآيات ، على طولها ، من أذب الشعر وأشجاره
 وأنبله وأقواه فنا . ولا أظن أحداً يقدر على المجادلة فى أنها داخلة
فى الخير من أوسع أبوابه .

ولمَعْنِ أيضًا عدة آيات فى التهكم بابن الزبير وبخله والتيس
المهزول الذى قدَّمه لقرى ضيوفه وكانوا يبلغون ثلاثة وسبعين ، وهى
من أمنع الشعر وأوخره (٥٣) .

أما العطيةة فلست أحسب أن أحداً يجادل فى أن شعره
الإسلامى من أجود وأروع ما يمكن . ولو لم يكن له إلا الشعر الذى
تهكم فيه بالزيرقان بن بدر وقومه ومدح أبناء، عمهم بما فيه من
تصوير حتى ، وسخرية ذكية نافذة رغم خلوها من الفحش
والإذاع ، وعذوبة عبارة ، وموسيقى جميلة لكافاه .

ونقتصر من شعر متم بن نويرة وأبى ذؤيب الهذى
بتراثيهما : الأول فى أخيه الذى قتله خالد بن الوليد ، والثانى

فى أولاده الخمسة الذين ماتوا فى عام واحد . وهما من الشعراء، المخضرمين ، والقصيدتان إسلاميتان . وليس من السهل العثور على نظير لهما من شعر الرثاء الجاهلى .

ونأتى إلى حسان بن ثابت ، الذى كانت ملاحظة الأصمعى على شعره هو والنابغة الجعدي أساس مقولته التى كانت مشاراً لهذه الأقاويل والآراء، الكثيرة عن ضعف الشعر فى الإسلام . لقد حكم الأصمعى على شعر حسان فى الإسلام بأنه تنكب شعر الفحول ودخل فى باب الخير من مراثى الرسول عليه السلام وصحابته البررة الأطهار ، ولذلك ضعف وأصابه اللين والتهافت . وهو حكم ، كما كررنا ، مجحف لاينهض على أساس نظرى أو تطبيقى . وقد سقنا شواهد من شعر بعض المخضرمين ، وها نحن هؤلاء نسوق شواهد من ديوان حسان أيضاً تثبت أن مقالة الأصمعى غير صحيح : فلا حسان ترك الأغراض الشعرية التى كان فحول الجاهلية ينظمون فيها ، ولا شعره ضعف بسبب الإسلام . أما إن وجدنا له شعراً ضعيفاً فذلك وضع طبيعى ، إذ لا يوجد شاعر كل شعره بارع متين . علاوة على أن بعض العلماء قد عزوا الشعر الضعيف فى ديوان حسان إلى أنه مصنوع ومنسوب إليه زوراً . ولعل الأصمعى نفسه هو أول من قال ذلك . وقد سبق أن أوردت كلماته فى هذا

على أية حال ، يمكن الرجوع في شعر حسان مثلا إلى همزته التي أولها :

عَفْتُ ذَاتَ الْأَصْبَعِ فَالْجَرَا، إِلَى عَزْرَا، مَتَّلِهَا خَلَةً
وَهِيَ فِي الرَّدَّ عَلَى هَجَاءِ، أَحَدِ الشَّعْرَاءِ، الْمُشَرِّكِينَ لِلنَّبِيِّ عَلَيْهِ
السَّلَامُ . وَقَدْ وَقَفَ فِيهَا حَسَانٌ عَلَى الْأَطْلَالِ ، وَذَكَرَ الطَّيفَ ،
وَوَصَّفَ فَتْنَةَ شَعْنَاءَ، مَمْتَلَةَ فِي رِيقَهَا الَّذِي هُوَ أَحْلَى مِنَ الْخَمْرِ
الْمَزْوَجَةِ مِنْ عُسْلٍ وَمَا يُؤْتَ وَمِنْ طَعْمِ التَّفَاحِ الْفَضَّ الَّذِي قُطِّفَ لِتَوْهِ .
ثُمَّ يَدْخُلُ فِي الثَّنَاءِ عَلَى الْخَمْرِ وَيَتَباهِي بِتَعَاطِيْهَا قَائِلًا إِنَّهُمْ حِينَ
يَشْرِبُونَهَا تَجْعَلُهُمْ مَلُوكًا وَأَسْوَادًا مُفْتَرِسَةً . ثُمَّ يَهْدِدُ قَرِيشًا بِغَارَةٍ إِمَّا
أَنْ يَخْلُوا سَبِيلَهَا فَيُؤْدُوا نَسْكَ الْعُمْرَةِ وَإِمَّا أَنْ يَعْتَرِضُوهَا فَيُذَلِّهُمُ اللَّهُ
عَلَى أَيْدِيهِمْ . وَهُوَ يَتَعَدَّثُ عَنْ إِيمَانِهِ بِالرَّسُولِ وَبِالْوَحْىِ الَّذِي يَنْزَلُ
عَلَيْهِ وَيَفْخَرُ بِقَوْمِهِ الْأَنْصَارِ لِمَا سَارَعُتْهُمْ إِلَى الإِيمَانِ وَنَصْرَةِ الإِسْلَامِ
وَنَبِيِّهِ . وَيَرِدُ عَلَى شَتِيمَةِ ذَلِكَ الشَّاعِرِ لِلرَّسُولِ مُجْلِجْلًا بِأَنَّهُ هُوَ وَأَبَاهُ
وَعَرْضُهُ فَدَاءٌ لَهُ عَلَيْهِ السَّلَامُ مِنْ أَىِّ إِسَاءَةٍ تَحَاوَلُ قَرِيشٌ تَوجِيهَهَا
إِلَيْهِ ... إِلَخَ (٥٤) .

والقصيدة كما ترى فيها خمر ووصف لبعض مفاتن المرأة ،
وفيها هجاء ، وفيها شيء من الفخر ، وفيها مدح للنبي عليه
السلام ، وفيها منافحة عنه وعن دينه ، وتهديد بغارة كاسحة . أى

أنها تجمع بين الأغراض القديمة والجديدة . وكلها من أولها لآخرها قوية صلبة ، فلا الخير الكثير الذى فيها نال منها ، ولا الإسلام منع حسان مثلاً من أن يتغزل فى تلك التى سماها شعثاً، على النحو الذى شتب بها .

كذلك لم يمنعه الإسلام من أن يهجو واحداً من المسلمين المهاجرين من رهط أبي بكر الصديق ، وهو هجاءً شديد العنف .

قال :

أو عبد شمس أو أصحاب اللوا الصَّيْدِ
للله درُكْ لم تهمم بتهييدى
لم تصبح اليوم نِكْمَا ثانى الجيد
أو من بنى جُمَح البيض المناجيد
أو من بنى خَلْفِ الْخُضْرِ العلائيد
قبل القذاف يقول كالجلاميد
حتى يغيبنى فى الرمس ملحودى
وطلعةُ بن عبيد الله ذو الجود ،
يظل منها صحبى القوم كالملودى
عنكم يقول رصين غير تهيد
أو الأخابث من أولاد عبُودٍ (٥٥)
لر كنتَ من هاشم أو من بنى أسدٍ
أو من بنى نوفل أو رهط مطلب
أو فى النزابة من قرم ذوى حسٍ
أو من بنى زُهرة الأخبار قد علِموا
أو فى السراة من تَبِيمٍ رضيتُ بهم
يا آل تَبِيم ، ألا يَنْهَى سفيهكمو
لولا الرسول ، فابنى لست عاصِيَةُ
صاحب الغار إِنَّ سُوفَ أَخْفَظُهُ
لقد رميَتُ بها شنعاً، فاضحة
لكن سأصرفها جهدي وأعدلها
إلى الزعمرى ، فإنَّ اللزم حالفه
وقد استطاع الشاعر ، كما هو بيَنَ ظاهر ، أن يقيم توازننا
بارعاً بين رغبته فى شفاء غيظه من مهجوَه وبين انصياعه لمبادىء
دينه وحبه للرسول وللصحابة الكبار الذين تربطهم بذلك المهجوَه

روابط القرابة ، وانتهى إلى أن حَوَّل هجاءه وصواعقه إلى ابن الزعري المشرك الذي كان يهاجم المسلمين ودينهم ونبيهم عليه الصلاة والسلام .

والآن ، ما قول الأصمعي في هذه القصيدة ؟ أهى من شعر الخير أم من شعر الشر ؟ سيقال إنها هجاء لسلم ، وبالتالي فقد دخلت في باب من أبواب الشر ؟ ولكن ألا يمكن أن يكون حسان قد قالها دفاعاً عن نفسه وما على دافع العداون عن نفسه من سبيل ؟ وحتى لو قلنا إنها هجاء لا يرضاه الإسلام أفاليس معنى هذا أن الإسلام لم يمنع حسان من قول مثل هذا الهجاء ؟ أياماً كانت الزاوية التي نظر منها إلى المسألة فإن مقوله الأصمعي تكشف عن عوارٍ فادح . وعلى أية حال ، فالقصيدة قوية الأسر جداً محكمة .

ولنقرأ أيضاً هذه الأبيات ، ولا أظن لحسان شرعاً في العاھلية يدان بها عنفاً وإيلاماً وصراحة في السب . وهي في هجاء هند زوجة أبي سفيان أيام أن كانت لاتزال على الشرك :

أثِرْتُ لَكَاعَ ، وَكَانَ عَادَهَا لِفُمْ إِذَا أَثِرْتُ مَعَ الْكُفَّارِ
لَعْنَ الْإِلَهِ ، وَزَوْجَهَا مَعَهَا ، هِنْدُ الْهَنْدُ طَوِيلَةُ الْبَظَرِ
أَخْرَجْتُ مُرْقَضَةً إِلَى أَحَدٍ فِي الْقَوْمِ مُغْنِفَةً عَلَى بَكْرٍ

دق العجاییة عاری الفهیر
 من نصها نصاً على الفهیر
 بالسا، تنضنه وبالسالئر
 ياهنڈ ، ويحك ، سبّة الدهر
 مما ظفرت به ولا وئر
 زعم الولانڈ أنها ولدتْ (٥٦)
 ولنستمع كذلك إلى عينيته التي يمدح فيها المسلمين من
 المهاجرين ويصفهم بالإيمان والعلفة والحمل ، حتى إذا حاول أحد أن
 يعتدى عليهم إذا بهم بَطْشَةُ جبارون ، ويقول إنهم قوم الرسول
 فلاعجب أن يكونوا بهذا الكرم والنبل . فالقصيدة كما ترى إسلامية
 الطابع ، سهلة اللفظ والعبارة والتركيب . كما أنها بسيطة البناء ،
 إذ هي مبنية على موضوع واحد يدخل إليه الشاعر مباشرة منذ
 أول بيت ولايفارقه إلى أن يبلغ البيت الأخير . ومع هذا كله ، فهي
 قصيدة قوية رائعة . فما رأى الأصمى ومن يشاعره على
 قوله (٥٧) ?

أو فلنسمع إلى أبياته اللامية في التناصل من كلام الإفك .

وهي أبيات جميلة مؤثرة ، وكلها إسلامية . ومنها :
 حَسَانٌ رَزَانٌ مَا شَرَنَ بِرِبَبَةٍ وَتَبْصَحُ غَرَثَى مِنْ لَحُومِ الغَوَافلِ
 مُهَذِّبَةٌ قَدْ طَبَّبَ اللَّهَ خِبَمَهَا وَطَهَرَهَا مِنْ كُلِّ سُوءٍ وَبَاطَلَ
 فَبَانَ كَنْتُ قَدْ قَلْتَ النَّذِي زَعَمُوا فَلَا رَفَعَتْ سُوطَى إِلَى أَنَامِلِ
 وَإِنَّ النَّذِي قَدْ قَبِيلَ لِيْسْ بِلَانْطِيْ بِهَا الْدَّهْرُ ، بَلْ قَوْلَ امْرَىءٍ بِيْ مَاحِلِ

فكيف ووذى ماحببست ونصرتى لآل نبى الله زين المعافل
رأيتك ، وليغفر لك الله ، حرر من المعصيات غير ذات غوايل (٥٨)
وله كذلك عدة قصائد إسلامية على روئ الميم ، وكلها قوى
وجميل . ومنها القصائد التى تبدأ بالأبيات التالية :

أولنك قومى ، فإن تأسى كرام إذا الضيف يوماً ألم (٥٩)

منع النوم بالعشاء ، الهمومُ وخيالٌ إذا تفَوَّرَ النجوم (٦٠)

هل المجد إلا السزد العروءُ والنَّدى وجاه المسلوك واحتمال العظام (٦١)

ابكِ ، بكت عيناك ثم تبادرت بدم يُمْلِئُ عروبها سجام (٦٢)

أعين ، ألا ابكي سيد الناس واسفعني بدمي فإن تنزفيه فاسكبى الدما (٦٣)
وبالمناسبة ، فليس كل شعر حسان العاھلى قويا جيدا كما
يوهم كلام من فضلوه على شعره في الإسلام ، بل فيه الجيد
والردى ، مثلما في إسلاميه اللَّيْنَ والمتين .

هذا رأى الأصمى ، وهذه مناقشتنا له . وإذا كان هناك من
يتبع الأصمى على كلامه فشمة من يخالفه القول ويرى أن الأشعار
التي قيلت بعد الإسلام تساوى إن لم تتفق شعر الجاهلية . ومن
هؤلاء ابن خلدون (٦٤) ، وعبدالرحمن البرقوسى (٦٥) ، ود.
شوقي ضيف (٦٦) ، ود. سامي مكى العانى ، الذى يرجع دعوى

الأصمعى هذه إلى « ولعه بالغريب ، وهو مقياس شخصى قد لا يوافقه عليه الكثير من النقاد » (٦٧) ، وكذلك د. صلاح الدين الهادى ، ورأيه « أن حسانا شاعر مطبوع فى شعره الإسلامى كما كان مطبوعا فى شعره الجاهلى . غاية الأمر أنه تأثر بالأسلوب القرآنى الناصع البيان المطرد السياق الواضح الطريقة السهلة المتنعة ، كما تأثر ب بشاشة الإسلام ، فلان جانبه ورقت حاشيته وسلست ملكته الفنية ، فاتتهج فى شعره الإسلامى الأسلوب الذى ... يسميه الأصمعى وغير الأصمعى لينا وضعفا ، وما هو فى النزرة المنصفة كذلك . وإنما يعجب الأصمعى وغيره غرابة الألفاظ وضخامة الأسلوب والبالغة فى المعانى ، ويرون هذا دون غيره مقياس الجودة فى الشعر » (٦٨) .

فإذا أتينا إلى رأى الأصمعى فى شعر النابغة فإننا نراه يقول مرة إن شعره الذى قاله قبل الإفحام ، وهو القسم الجاهلى منه ، شعر جيد ، أما شعره فى الإسلام بعد أن انقطع عنه إفحامه فكأنه مسروق وليس بجيد . ومن هذا قوله إن اللين الذى يوجد فى شعر النابغة إنما سببه دخوله فى باب الخير . ومرة يقول إنه كان شاعرا مطبوعا قليل التكلف ، ولذلك كان يفضل شعره . ولو تجولنا فى ديوان النابغة فلسوف نجد أن حكم الأصمعى

الأول على شعر الشاعر هو حكم ظالم . وقد سبق أن سقت نساج من أشعاره المختلفة في الفصل الثاني من هذا الكتاب ، ومعظمها إسلامي . وهي خير رد على كلام الأصمعي . أما رأيه الثاني فهو أقرب إلى الصواب . لكن قول الفرزدق الذي اتكاً عليه الأصمعي في هذا الحكم من أن النابغة كصاحب الخلان : قد يكون عنده ثوب بآلاف وأخر بواف ، فهو حكم لا يصدق على شعر النابغة وحده بل على كل الشعر تقريبا ، إذ من ذا الشاعر الذي يخلو إنتاجه من الحشف والخشار ؟ وقد سلف مني القول بأن ميمية النابغة في تحميد الله وتمجيده أقرب إلى النظم منها إلى الشعر .

على أنه إذا كان الفرزدق يقصد أن الجيد والردي ، في شعر النابغة متعادلان كثيراً فلست أواافقه ، إذ معظم شعره جيد ، أما الردي ، فقليل . ومن هنا فإني أميل إلى رأى ابن سلام الذي عدَ فيه النابغة من المفلتين (٦٩) ، وحكم أبي الفرج الأصفهاني عليه بأنه شاعر متقدم .

أما ماقيل عن أحد أبياته من أنه مدح بيت قالته العرب فهو كلام لائق عنده ، إذ هو واحد من تلك الأحكام المطلقة الكثيرة التي تقابلنا في كتب الأدب العربي القديمة عاريةً عن الحيشيات .

ولاشك أنَّ ما وصف به حنا الفاخورى شعر النابغة من الموسيقى والسلامة والانسجام متوفَّر في ذلك الشعر ، ولكن ليس بدرجة كبيرة . وإن فيما سبق أن سقطه وحلَّته من شعر الشاعر دليلاً على ذلك .

هذا ، ونافق د. عمر فروخ في أن في شعر النابغة شيئاً من الإقطاع ، وقد بينما ذلك فيما مضى . وكذلك نافق د. شوقى ضيف في أنَّ الأثر الإسلامي في شعره بارز ، فهو يذكر التقوى ويحمد الله على أنه لم يتم قبل أن يدخل في الإسلام ، ويستفيث بالرسول وصاحبيه عندما ضربه أبو موسى الأشعري بالسوط ، ويعلن أنَّ الجهاد في سبيل الله واجب ديني لا يمكنه أن يتناصل منه ، ويمدح ابن الزبير بالعدل والتقوى وبالسير على منهج الخلفاء، الراشدين ... إلخ ، وذلك علامة على مميته التي هي في معظمها نظم لعدد من آيات القرآن الكريم .

على أنَّ التأثير الإسلامي في شعر النابغة تقابله في الناحية الأخرى آثار جاهلية . وليس هذه الآثار الأخيرة مقصورة على شعره الذي قاله قبل إسلامه ، بل إن في شعره الإسلامي أشياء من ذلك : إنه يفتخر بقومه افتخاراً جارفاً فيه استهانة شديدة بالقبائل الأخرى واحتقار كبير لها . وهو يذكر الخمر التي كان يشربها في

الجاهلية ويتغنى بها ويبدى نشوة في الحديث عن منادمته للمنذر بن محرق . كما أن في بعض شعره المهجانى عربا فاحشا ، وذلك واضح في أبياته التي يهجو بها ليلي الأخيلية مما سبق أن تعرضنا له ، والتي دفعتها إلى أن تردا عليه بالمثل ذاكراً أمها وأنها هي أيضا يقال لها : « هلاً » ، أى أنه إذا كان يغيرها بداعٍ ففي أمها مثله (٧٠) .

وهذه الآثار الجاهلية موجودة في أكثر من قصيدة قالها في الإسلام . وقد وقف أبو زيد القرشي صاحب « الجمهرة » عند أول قصيدة قالها النابغة في الإسلام ومطلعها :

خليلىٌ ، عوجاً ساعَةً وتهجّراً ولُوماً على ما أحدث الدهر أو ذراً
وهي القصيدة التي دوى بها صوته في حضرة النبي عليه الصلاة
والسلام عندما وفد عليه مع قومه سنة تسع للهجرة ليعلنوا
إسلامهم وخضوعهم لحكومة النبي في المدينة ويصبحوا بذلك جزءاً
من أمة المسلمين ، وعدها من « المشوبات » . وقد فسر هو هذه
اللفظة بأنها القصائد « الالاتى شابهن الكفر والإسلام » ، وهى
عند سبع : واحدة لكل شاعر (٧١) .

والذى يهمنا هنا هو قصيدة النابغة . والذى ينظر فيها لا يجد
أى كفر على الإطلاق ، أما ذكر الإسلام والرسول فهو موجود .
وسائرها في الحكمة ووصف الفرس وفخر الشاعر بقبيلته وهجائه

لخصومها . لقد ذكر النابغة مثلاً في قصيدة أخرى له ما كان يفعله في الجاهلية من ذبح العتر عند الأوثان (وقد تناولت ذلك من قبل) ، أما في هذه القصيدة فليس شيء من ذلك . ومن هنا فلست أفهم لماذا جعلها صاحب « الجمهرة » من « المشويات » .

ولعل هذا هو السبب في أن محقق الكتاب قد حاول أن يقدم من عنده هو تعريفاً آخر لمصطلح « المشويات » ، إذ قال : « المشويات هي التي شابها ، أو شاب أصحابها ، الكفر والإسلام » (٧٢) . وهو كما ترى تعريف يحاول به المحقق أن يتلافى قصور التعريف الأول ، ولكن هل يمكن قبوله ؟ لا إخال . ذلك أن صاحب المصطلح مadam قد شرحه بنفسه فهذا هو الشرح الذي نعتمد ونناقشه . وقد بتنا رأينا فيه . وعلى أية حال ، فالشعراء الذين كانوا كفاراً ثم أسلموا كثيرون ، وهم كل المخضرمين إلى جانب الذين جاءوا بعد ذلك وكانتوا نصارى أو يهوداً ثم دخلوا في الإسلام . ولعدد من هؤلاء قصائد تحت تصنيفات أخرى ، مثل حسان وعبد الله بن رواحة (من أصحاب المذهبات) (٧٣) ، وأبي ذؤيب الهذلي ومتمم بن نويرة (من أصحاب المراثي) (٧٤) . فعلى أي أساس كان هذا التصنيف

هذا ، وقد وصف المفضل القساند التسع والأربعين التي جمعها أبو زيد القرشى فى « الجمهرة » بأنها « من عيون أشعار العرب فى الجاهلية والإسلام ونفيس شعر كل رجل منهم » (٧٥). وهو حكم يشمل قصيدة النابفة ، بوصفها واحدة من قصائد الكتاب . وهذا الكلام هو خير رد على دعوى الأصمى أن شعر النابفة فى الإسلام يشبه أن يكون مسروقا وليس بجيد ، إذ القصيدة فعلاً من أقوى الشعر وأمتهن وأجمله فى ذلك العصر . ولا أظننى سأكون مغالياً إذا قلت إنه قل أن يوجد لها نظير فى موضوعها فى الشعر الجاهلى (٧٦) .

وقد سبق أن أوردنا عدداً غير قليل من أبياتها فى الفصل الماضى ، وهأنذا أسوق عدداً آخر منها . وإذا كانت الأبيات الأولى من أواخر القصيدة فإن الأبيات التالية ستكون من بدايتها :

| | |
|--------------------------------|-------------------------------|
| ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا | خليلى عوجا ساعنة وتهجرا |
| لاتجزعما . إن الحياة ذميمة | فخفا لروعات العروادث أو قرا |
| فلا تجزعوا مما قضى الله واصبرا | وإن جاء، أمر لتطبيقان دفعه |
| قليل إذا ما الشى، ولئى وأدبوا | الم ترى أن الملامة نفعها |
| تغيّر شيئا غير ما كان قُتّرا | تهيج البكا، والندامة ثم لا |
| ويتلسو كتابا كال مجررة نيرا | أتىت رسول الله إذا جاء بالهدى |
| ومن حاجة المحزون أن يتذكرا | تذكرت والذكرى تهيج لدى الهوى |

ندامى عند المنذر بن محرق
كهولا وشبانا كأن وجرههم
ومازلت أسعى بين باب وداره
لدى ملك من آل جفنة خاله
يدير علينا كأنه وشواه
خيفاً عراقياً وريطاً شاماً
... إلخ

فأى روعة ! وأى إبداع ! واى ظلمه الأصمعى النابغة
وشعره فى الإسلام ! أرأيت إلى هذه الأفكار البسيطة فى الحياة
والعميقة أبعد العمق فى آن ؟ إن الجزع لا يفيد ولا يردد شيئا
فات ، ثم لا يجعى الإنسان شيئاً إلا البكاء والندم ، فلم الجزع
إذن ؟ والشاعر حين يقول ذلك لا يصطفع نبرة الوعظ ، فهو يرى
أن الحياة بغية ، وهذا كلام لا يقوله الوعاظ ، كما يبين أنها
لاتبالي بأحد سواه ، صبر لروعتها أو استخفته ، وهذا أيضاً كلام
لا يقوله الوعاظ . ثم هذه الذكريات الأسيانة التى يسترجعها الشاعر
ليتسللى بها من أحزانه : ذكريات الشباب الهنىء الذى لم يكن يبالى
شيئا .. ذكريات الأوقات السعيدة الماجدة التى قضاها مع المنذر بن
محرق منادماً ومؤاكلاً ومشارياً ، وهذه التفصيلات التى تبرز تلك
الذكريات واضحة جلية وتشى بالنشوة القديمة من ذكر لنسب
المنذر ، والكأس ، والشواء ، والملابس الفخمة التى أتحفهم بها

وأخذ الشاعر يسرد أسماءها ، والمسك الأذفر الذى لايفوته أيضاً أن
يؤكد أنه وارد دارين .

و قبل ذلك كله هذه المقدمة التى تبدو وسط مقدمات الشعر
الجاهلى كأنها غريبة ، والتى لايف فىها الشاعر على الأطلال ،
ولا يبكي فيها حبه الضائع ، ولا يتغنى فيها بالخمر و ماتهيجه من
طرب و انشاء ، بل يتوجه فيها بالنصح الحكيم إلى خليليه متأملاً
فى صروف الدهر و طبيعة الحياة .

حقاً أن هذه القصيدة هي ، كما قال المفضل ، من عيون
الشعر العربى جاهليه و مسلمه . إن الرسول عليه السلام ، وهو
أفصح العرب ، لم يملك أن قال للنابغة عندما سمع منه هذه
القصيدة و ناقشه فى بعض ماجا ، فيها : « لايفضض الله فاك » ،
وذلك عندما أخذت الشاعر نشوة الفخر و طارت به إلى السماء عند
النجوم والشموس والكواكب والأقمار فلم ير لقومه فى الدنيا من
نظير فى المكارم والرجلولة والجود والبطولة والسلطان فاستجتمع
المذخور من طاقته حينئذ عزماً منه أن يرتقى مرقة أخرى ،
قائلاً :

بلغنا السماء ، مجدنا وجلودنا وإنما لنبقى فوق ذلك مظهراً
يقصد أنهم يريدون أن يفوزوا بالحسبيين : مجد الدنيا ، وعزّة

الآخرة ، أى الجنة .

على أن ليست هذه هي القصيدة الوحيدة البديةة في شعر النابغة ، رغم ماضع من شعره ، وهو فيما يبدو ليس بالقليل ، بل الحق أن معظم شعره جميل بديع . ونأتى إلى المأخذ التي ذكرها المرزيانى فى « موشحه » والأصفهانى فى « أغانيه » .

أول هذه المأخذ ما نُسِّب إلى الأصمعى من أن البيت التالي :
فأدخلك اللَّه بِرِدِ الْجِنَّا ن جذلان فـى مدخل طبـب
من التهافت واللـين حتى لو أن أبا الشمقم هو الذى قاله لكان
ردـينا ضعيفـا . وكان الأصـمعى قد وصف أبياتـا من نفسـ القصـيدة
بالجودـة والمـثانـة (٧٨) .

والحقيقة أنه ينبغي بادىء ذى بدء التنبيه إلى أنـنا لا نـعرف
موقع هذاـ البيتـ منـ القصـيدةـ التـىـ أـعـجبـتـ الأـصـمعـىـ ،ـ لأنـ الروـاـيـةـ
تـقولـ إنـهـ بـعـدـ أـنـ أـنـشـدـ الأـبـيـاتـ التـىـ اـسـتـشـهـدـ بـهـ عـلـىـ جـوـدـةـ شـعـرـ
الـشـاعـرـ أـنـشـدـ أـبـيـاتـ أـخـرىـ بـعـدـهـ وـلـكـنـهـ لـمـ تـسـمـهـ لـنـاـ .ـ وـمـنـ ثـمـ
فـإـنـاـ لـاـ نـعـرـفـ كـيـفـ وـصـلـ الشـاعـرـ لـهـذـاـ الـبـيـتـ .ـ ذـلـكـ أـنـ الـأـبـيـاتـ التـىـ
أـورـدـهـاـ الـأـصـمعـىـ تـسـتـحدـثـ عـنـ حـوـارـ دـارـ بـيـنـ الشـاعـرـ وـسـلـيـمـىـ ،ـ التـىـ
تعـجـبـتـ مـنـ اـيـضـاـضـ شـعـرـ وـشـيـبـهـ ،ـ فـلاـ تـنـاسـبـ بـيـنـ هـذـاـ وـذـاكـ .ـ
حتـىـ جـامـعـ شـعـرـ النـابـغـةـ لـمـ يـعـرـفـ مـوـقـعـ هـذـاـ الـبـيـتـ مـنـ القـصـيدةـ ،ـ

فوضعه مع آيات أخرى في آخرها ، كل بيت على حدة (٧٩) .
ومع ذلك فلو نظرنا إلى هذا البيت بمفرده فلن نجد فيه ما يعبّر ،
لا في معناه ولا في صياغته . ولو ذكر الأصمعي شيئاً محدداً فيه
لكان بإمكاننا أن ننأى به ، لكنه اكتفى بهذا الحكم الانطباعي غير
المعلّل .

ومن هذه المآخذ ما انكر عليه من التقديم والتأخير في
قوله :

وشمولي قهقرة باكرتها في التباشير من الصبح الأول
إذ إنه أراد أن يقول : « في التباشير الأول من الصبح » (٨٠) .
وهي ملاحظة أسلوبية سليمة ، ولكن ليس في التركيب الموجود في
البيت كل هذا العيب الذي يُوحى به الإنكار ، فالكلام مفهوم .
وللشعر ضروراته بسبب وزنه وقافيته . وهناك شواهد أخرى على
قلب التركيب بل على قلب المعنى ذاته أشد من هذا في شعر
الشاعر الآخرين . ومع ذلك فإننا نقول إنه لو جاء بتركيب الكلام
على أصله لكان أفضل .

وأخذوا عليه أيضاً قوله :
وما رابها من ريبة غير أنها رأت لقتلى ثابت وشاب لداتيا
إذ قالوا : « أى ريبة أعظم من أن رأته قد شاب ؟ » (٨١) .
وهو نقد في غير محله ، إذ إنهم نظروا إلى البيت من وجهة نظر

المرأة ، ناسين أن الشاعر إنما يعبر عن موقفه هو ومشاعره هو . ومن الصعب عليه أن يعترف أنه ، رغم شببه ، قد أضحي لا يصلح للعبّ . ثم من قال إن كل من شاب شعره قد شابت نفسه ؟ إننا قد نجد بين الكهول ومن تجاوزوا الكهولة من لا يزالون بعافية وخير وقدرة على إرضاء المرأة جسدياً ونفسياً .

وقد تعرض إسحاق الموصلى لثل هذا الموقف فقال :

ورأت شيبا علانى واتت وابن سطين بشيب جيدر
إذ تَرَى شيبا علانى فانى مع ذاك الشيب حلو مزير
قد يُقْلِل السيف وهو جرازٌ وبصول الليث وهو عابر
وهو يؤكد ما قلناه .

كذلك طعن بعضهم فى قوله :

وأزجر الكاشع العدو إذا اغْتَلْتَ
تابك زَجْرًا منْتَ على أضَمِ
زجر أبى عروة السباع إذا أشْفَقْتَ
وقالوا إن أبا عروة هذا كان ، فيما رُوى عنه ، إذا زجر السباع
فتق مراتتها من شدة الصيحة ، فإذا صَحَّ هذا فالمفروض أن تنتفت
مراثير الفنم معها . وقد رد المدافعون عن البيت بأن الفنم كانت قد
أنست بصوته فلم يعد يُفزعها (٨٢) .

وهذا نقد عجيب ، إذ مادخل الشاعر بهذه المتأهة ؟ إن النابغة لم يقل إن صيحة أبي عروة كانت تفتق مرارة السباع ، وإنما كل ما أراد قوله هو أنه يصبح بالأعداء ، كما كان أبوعروة ذاك

يصرخ في الوحش المغيرة على غنمه فتفر متباعدة فزعة . ومن الواضح أن أبا عروة هذا قد اشتهر بذلك حتى ضربه النابغة مثلا . هذا كل ما هنالك . وليس من المعقول أن تنفتق مرارة الذئاب والضباع من مجرد صيحة بالغاً ما بلغ عنفوانها . أما كيف كانت الوحوش تخاف ولا تخاف الغنم ، فذلك راجع إلى أن الذئاب لكونها معتدية كانت تتوجس من أي صياح يأتيها من جانب الراعي ، أما الغنم فهذا الصوت نفسه كان يدخل على قلوبها الاطمئنان .

أما المأخذ الذي أخذه هارون الرشيد على بيت النابغة في رثاء أخيه فقد سبق أن تعرضنا له وردتنا عليه من قبل (٨٣) .

ويبقى مقايل من أن النابغة كان مغلبا ، إذ لم يشتبك مع غيره في هجاء إلاّ غلب رغم تفوقه على خصمه في الشاعرية . ونحب أن ننبه إلى أن المقصود بالغلب هنا هو أن الخصم كان يجيء بمثل ما يجيء الواحد منا بـ « ولو ... » إذا هدده إنسان . فمثلاً عندما قال النابغة مخاطباً عقال بن خويلد العقيلي ، وكان قد أجار قرماً أساعوا إلى أهل الشاعر :

تجير علينا وائلأ في دمائنا كأنك مما نال أشياعها عم
يقصد أنهم قادرون على أن ينزلوا بقومه ما أنزلوه بأشياع أولئك
الذين أجارهم ، أم تراه لا يعلم بما أنزلوه بهم ؟ ردًّا عليه عقال
قائلاً : « لا ، بل على عمد يا أبا ليلي ! » (٨٤) . وليس هذا

انتصاراً ، ولكنه مجرد عناد لا أكثر . فهو ليس رداً على شعر ،
ولا الرد عليه يكون بالشعر ، ولكن لأن ينفذ النابغة وقومه
تهديدهم .

ومثل ذلك رد ليلي الأخيلية عليه عندما أبدى احتراره لها
بسبب وقوفها ضده هو وأهله مع خصومهم ، قائلاً لها إنها امرأة
وي ينبغي ألا تزج بنفسها بين الرجال ، وإن هناك من المشاغل
الأنثوية ما كان يجب أن يشغلها عن هذا ، وكان من بين مقالاته :
ألا حَيَّيَا لِبْلَى ، وقولاً لها : هَلَّا فَقَدْ رَكِبْتِ أَمْرًا أَغْرَى مَعْجَلًا

.....

دعى عنك تهجا ، الرجال وأقبلى على أدلفنى يملاً استك فيشلا
وكيف أهاجى شاعراً رمحه استه خضيب البنان لايزال مكحلاً ؟
وهى أبيات ، كما ترى ، فى منتهى العنف والفحش والاحتقار .
بيد أن الأخيلية لم يخجلها شيء من هذا وردت عليه بأن هذا الذى
يرميها به موجود مثله فى أمته ، فهى أنتى مثلها ... إلخ :
تعيرنى داء بأمسك مثلـه وأى نجيب لا يقال لها : هَلَّا ؟ (٨٥)
والشاعر لم ينكر ما قالته ، ولا أمته تدخلت بين الرجال كما تدخلت
ليلى الأخيلية ، التى بردـها هذا قد اعترفت بما رماها به النابغة
وسلـمت له وإن كابرـت . وعلى أية حال ، فإن الشاعر قد صرـح قبل
أن ترد عليه بأنه لا يمكنه أن يهاجـى امرأة مثلـها . فسكتـه بعد
ردـها عليه ليس إذن أمـراً مفاجـنا ناشـنا عن أنها أفعـمه .

وهناك رواية عن أن النابغة وأحد معارفه من الشعراء ، وهو أوس بن مغرا ، الذي يقولون إنه لا يسامت شاعرنا في موهبته ، كانا يتهاجيان ويبحثان عن بيت من يقله قبل الآخر يصبح هو الفائز . ثم حدث أن توصل أوس إلى نظم بيت هجائي قبل النابغة تقول الرواية إن النابغة قد اعترف بسببه لخصمه بالسبق ، فعدّ هو الغالب والنابغة مغلوباً . وهذا بطبيعة الحال ليس من الأهمية بمكانته ، فليست الهزيمة في الشعر بآلاً يسارع الشاعر بنظم البيت المراد . ثم من قال إن البيت الذي توصل إلى نظمه أوس هو البيت المقصود ؟ إن ذلك يصح أن يقال لو كان الاثنان يبحثان عن بيت معين ؟ بيد أن الأمر كما ترى ليس كذلك .

ومن غرائب الأمور أنه في نفس الوقت الذي يقال فيه إن النابغة الجعدي ما دخل في هجاء مع أحد إلا غلب نراهم يذكرون أن سبب المهاجاة بينه وبين ليلي الأخيلية أن أحد الشعراء قد ابتدأ بهجاء فأجابه النابغة بقصيدة لامية سميت « الفاضحة » ، لأنه ذكر فيها مساوى ، قشير وعقيل وكل ما كانوا يُسبّون به ، وفخر بقومه جمياً ومائتهم (٨٦) . ألا ترى أننا ينبغي ألا نعطي مثل هذه الأحكام حجماً أكبر من حجمها ؟ ومع ذلك فإن عدداً من الدارسين العرب المحدثين إذا ذكروا النابغة ساقوا الكلام عن تغلب

الشّعراً، عليه كأنه حقيقة مسلّمة ! (٨٧)

الهوامش

- ١- طبقات الشعراء / ١ / ٢٦ ، ٢٨ .
- ٢- الرافي : درهم وثلث .
- ٣- المرشح / ٨٩ - ٩٠ ، وأمال المرتضى / ١ / ٢٦٩ . وانظر أيضاً ، في حكم الفرزدق والعلماء، على شعره ، « الشعر والشعراء » / ١ / ٨١ ، ٢٩١ ، والأغاني / ٤ / ١٣٧ .
- ٤- ابن قتيبة / الشعر والشعراء ، / ١ / ٣٠٥ . ولابي منصور الثعالبي كلام مثل هذا عن حسان في كتابه « خاصّ الخاصّ » / ط مصر / ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م / ٨٠ .
- ٥- العدة / ١ / ١٠٧ .
- ٦- الموضع / ٩١ .
- ٧- جمهرة أشعار العرب / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م / ٢ / ٧٦٩ .
- ٨- الشعر والشعراء ، / ١ / ٢٩١ .
- ٩- الأغاني / ٤ / ١٣٦ - ١٣٧ .
- ١٠- طبقات فحول الشعراء ، / ١ / ١٢٢ ، ١٢٤ ، ١٢٥ - ١٢٥ .
- ١١- السابق / ٤ / ١٣٠ .
- ١٢- الموضع / ٩٣ .
- ١٣- العسكري / المصنون في الأدب / تحقيق عبد السلام هارون / الخانجي بالقاهرة ، والرفاعي بالرياض / ط ٢ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م / ٢٣ .
- ١٤- تاريخ آداب اللغة العربية / ١ / ١٥٤ - ١٥٥ .
- ١٥- الوسيط في الأدب العربي وتاريخه / ١٦٤ - ١٦٥ .
- ١٦- جواهر الأدب / ٢ / ١٤٤ - ١٤٥ .

- ١٧ - العصر الإسلامي / ١٠١ ، ١٠٢ .
- ١٨ - السابق / ١٠٣ .
- ١٩ - السابق / ١٠٤ .
- ٢٠ - تاريخ الأدب العربي / ١ / ٣٤٢ - ٣٤٣ .
- ٢١ - د. محمد خضر / أدب صدر الإسلام / ٢٥٠ / هامش ١ .
- ٢٢ - هنا الفاخوري / تاريخ الأدب العربي / ٢٤٢ .
- ٢٣ - د. خليل إبراهيم أبو ذياب / النابغة الجعدي - حياته وشعره / ٥٤٢ .
- ٢٤ - من الذين لا يزالون يقولون بعداوة الإسلام للشعر أو على الأقل بعدم ارتياحه له د. محمد عبدالعزيز الفكري (الشعر العربي بين الجمود والتطور / دار نهضة مصر / القاهرة / ط ٢ / ٤٣) ، وسلمي خضرا، الجيوسي ، التي تكاد آراؤها تتفق مع آراء د. الكفراوى وبخاصة في تحليلها للآيات الأخيرة من سورة « ص » التي تتحدث عن الشعر والشاعر . انظر دراستها « Early Islamic Poetry » في كتاب : Arabic Literature to the End of the Umayyad Period ، Cambridge University Press ، 1983 , pp. 390 - 391 .
- الباحثة العربية ذلك الكلام نجد نيكلسون ، المستشرق البريطاني ، ينفي قبلها بعشرين كثيرة من السينين العداوة المدعاة المنسوبة للرسول عليه السلام ضد الشعر كفن أدبي . انظر كتابه A literary History of the Arabs ، Cambridge Univ. Press .
- ٢٥ - p. 235 ، 1979 وبالنسبة ، فقد رأى العلما، العرب القدامى على هذا الرعم منذ قرون بعيدة . ومن هؤلاء، ابن رشيق في « العمدة » (١ / ٢٧ - ٢٢) ، وأبو هلال العسكري في « الصناعتين » (الآستانة / ١٣٢٠ هـ / ١٣٢) .
- ٢٦ - انظر كتابه « تاريخ الشعر العربي حتى آخر القرن الثالث الهجري » / دار الثقافة / الدار البيضاء / ١٩٨٢ م / ١١٣ - ١١٤ .
- ٢٧ - د. محمد عبدالعزيز الكفراوى / الشعر العربي بين الجمود والتطور / ٤٤ - ٤٥ . وقد فنز الأستاذ الدكتور لهذا السبب فوق عصر صدر الإسلام فلم يحاول أن يدرس أى شيء من شعره .

- ٢٧ - د. عبد القادر القط / في الشعر الإسلامي والأموي / مكتبة الشباب / القاهرة / ١٩٨٢ م / ١٢ - ١٣ .
- ٢٨ - د. عمر فروخ / تاريخ الأدب العربي / ١ / ٢٥٢ . وقد ادعى د. سامي مكي العانى أن فروخ ينفى مقوله ضعف الشعر الإسلامي . انظر كتابه « الإسلام والشعر » . ٢١ /
- ٢٩ - د. عباس الجراري / من أدب الدعوة الإسلامية / دار الثقافة / الدار البيضاء / ط ٢ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م / ٣١ - ٣٢ .
- ٣٠ - انظر كتابه « الشعراء، المخضرمون » / الهيئة المصرية العامة للكتاب / ١٩٨٣ م / فصل « الدين والشعر » (ص ٢٧ - ٣٣) .
- 31- Arabic Literature to the End of the Umayyad period , pp. 391-392 .
- ٣٢ - حياة الشعر في الكوفة / دار الكتاب العربي / القاهرة / ١٩٦٨ م / ٦٥٦ .
- ٣٣ - حسان بن ثابت / دار المعارف / ١٩٦٥ م / ١٧ .
- ٣٤ - حسان بن ثابت / ٧٧ .
- ٣٥ - الحياة الأدبية في عصر صدر الإسلام / دار الكتاب اللبناني / بيروت / ١٦٣ .
- ٣٦ - انظر « دراسات في الأدب العربي » / ترجمة د. كمال اليازجي / بيروت / ١٩٥٩ م / ١٤١ - ١٤٢ .
- ٣٧ - انظر ابن عبد البر / الاستيعاب / المطبعة الشرقية / القاهرة / ١ / ٣٢٨ .
- ٣٨ - انظر تلك الآيات في « شرح ديوان كعب بن زهير » لأبي سعيد السكري / الدار القومية للطباعة والنشر / القاهرة / ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م / ٢٥ .
- ٣٩ - السابق / ٤١ وما بعدها .
- ٤٠ - السابق / ٢٥١ وما بعدها .
- ٤١ - شعر الزبيرقان بن بدر وعمرو بن الأهتم / دراسة وتحقيق د. سعود محمد عبد الجبار / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط ١ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م / ٤٦ وما بعدها .

- ٤٢- السابق / ٤٢ وما بعدها .
- ٤٣- السابق / ٨١ - ٨٢ .
- ٤٤- السابق / ٦٥ - ٦٦ ، ١٠٠ .
- ٤٥- انظر د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان / العباس بن مرداس السلمي الصحابي الشاعر / دار المريخ / الرياض / ط ١ / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م / ٧٥ .
- ٤٦- السابق / ١٣٢ .
- ٤٧- السابق / ٣٩ - ٤٠ .
- ٤٨- ديوان الخنساء / دار الأندلس / بيروت / ط ٩ / ١٩٨٣ م / ٤٥ . ويمكن العثور على مرات أخرى لها إسلامية ص ٤٢ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١٣١ ، ١٣٢ .
- ٤٩- شعر عمرو بن معدىكرب الزيدى / جمع وتحقيق مطاع الطرايشى / مجمع اللغة العربية بدمشق / ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م / ٩٩ - ١٠٠ .
- ٥٠- السابق / ١٠٢ ، ١٢٦ .
- ٥١- ديوان معن بن أوس المزنى / صنعة د. نوري حمود القيسي وحاتم صالح الضامن / دار الجاحظ / بغداد / ط ١ / ١٩٧٧ م / ٣٧ - ٣٨ . وانظر في إسلامية القصيدة مقدمة الديوان / ص ٦ ، وكذلك البيت التاسع عشر والبيت الثاني والثلاثين وكذلك السابع والأربعين من القصيدة .
- ٥٢- وحتى لو تم الاتفاق على ذلك فإنها تكون شاهداً آخر على أن كثيراً من الشعر بعد الإسلام يشبه شعر الجاهلية ، ومن ثم تكون حجة الأصمى داحضة .
- ٥٣- الديوان / ١٠٥ - ١٠٦ .
- ٥٤- شرح ديران حسان بن ثابت الانصاري / وضع عبد الرحمن البرقوقى / المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة / ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م .
- ٥٥- الديوان / ١٣٣ .
- ٥٦- الديوان / ٢٤٨ وما بعدها .
- ٥٧- من الذين رددوا إلى حد كبير رأى الأصمى في شعر حسان : عمر رضا كحاله ،

- إذ قال ابن « شعره الجاهل أقى من شعره الإسلامي لتغيير البيئة عليه وارتجاله وكثرة ما قال وتنقيبه بحدود الدين وترك معاييره القديمة وكثرة ما حُمل عليه ». ومع ذلك فقد استدرك بأن له بعض تصاند إسلامية جيدة . انظر كتابه « الأدب العربي في الجاهلية والإسلام » / المطبعة التعاونية / دمشق / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م / ٨٦ .
- ٥٨- الديوان / ٣٢٤ - ٣٢٥ .
- ٥٩- الديوان / ٣٧٢ وما بعدها .
- ٦٠- الديوان / ٣٧٦ وما بعدها .
- ٦١- الديوان / ٣٨٣ وما بعدها .
- ٦٢- الديوان / ٣٨٥ وما بعدها .
- ٦٣- الديوان / ٣٩٨ .
- ٦٤- انظر « مقدمة ابن خلدون » / دار الشعب / القاهرة / ٥٥٤ .
- ٦٥- انظر مقدمته للبيان حسان بن ثابت / آ مكررة .
- ٦٦- العصر الإسلامي / ٤٣ ، ٤٦ ، ٤٨ ، ٨١ ، ٩٢ .
- ٦٧- د. سامي مكي العانى / الإسلام والشعر / ٢٥ - ٢٦ .
- ٦٨- د. صلاح الدين الهادى / الأدب في عصر النبوة والراشدين / مكتبة دار العلوم / القاهرة / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م / ٢٦٦ .
- ٦٩- ولست معه في رأيه الآخر الذي يصف فيه شعر النابغة بأنه كان مختلفاً ، يشير إلى مقالة لقرزدق .
- ٧٠- انظر « شعر النابغة الجعدي » / ١٢٢ - ١٢٧ ، وخامش ٥ من صفحة ١٢٦ ، والأغانى / ٤ / ١٣٢ - ١٣٣ .
- ٧١- الجمهرة / ١ / ٢٢٠ . والشعراء، الستة الآخرون هم كعب ، والقطامي ، والخطيبة ، والشماخ ، وعمرو بن أحمر ، وتحيم ابن أبي بن مقيبل .
- ٧٢- الجمهرة / مقدمة للحقن / ١ / ٣٧ . وقد قال د. عز الدين بسامعيل بشىء مثل هنا هو أيضاً . انظر كتابه « المصادر اللغوية والأدبية في التراث العربي » /

- دار النهضة العربية / بيروت / ١٩٧٦ م / ٨٣ / هامش ٢ .
- ٧٣- السابق / ١ / ٢١٩ .
- ٧٤- السابق / ١ / ٢١٩ - ٢٢٠ .
- ٧٥- السابق / ١ / ٢٢٠ .
- ٧٦- سبق أن قلت رأيي في الشعر الذي يدور على وصف الخيول والنوق ، فهذا الجزء من القصيدة لا يجد عندي تجاوباً نفسياً .
- ٧٧- أخذت هنا بالرواية الثانية لهذه القصيدة في « شعر النابغة الجعدي » ، وهي تختلف قليلاً عن الرواية التي أخذت بها من قبل . وكانت « مَنَاصِفُهُ » هناك « مُناصِفَةً » .
- ٧٨- الموضع / ٨٩ - ٩٠ .
- ٧٩- انظر « شعر النابغة الجعدي » / هـ (فقرة ٣) ، ٣٣ .
- ٨٠- الموضع / ٩٣ .
- ٨١- نفس المرجع والصفحة .
- ٨٢- انظر « الكامل » للمبرد / تحقيق ذكي مبارك وأحمد شاكر / ط البابى الحلى / ٥١١ .
- ٨٣- فى دراسة .. خليل إبراهيم أبوذباب « النابغة الجعدي - حياته وشعره » ، التى وقعت فى يدى بعد الانتهاء من هذا البحث ، نجده يورد عدداً من هذه الانتقادات موافقاً عليها (ص ٥٤٦ وما بعدها) .
- ٨٤- الموضع / ٩١ - ٩٢ .
- ٨٥- الأغانى / ٤ / ١٣٢ - ١٣٣ .
- ٨٦- انظر « الأغانى » / ٤ / ١٣١ - ١٣٢ ، و « شعر النابغة الجعدي » / ٩٩ - ١٠٠ (بالهامش) .
- ٨٧- انظر مثلاً « العصر الإسلامي » للدكتور شوقي ضيف / ١٠٢ ، ومقدمة محقق شعر النابغة / ص ، و « تاريخ الأدب العربي » للدكتور عمر فروخ / ١ / ٣٤٣ .

السمات الفنية في شعر النابغة

أبدأ هذه السمات ببما أشرتُ إليه من قبل من أن مقدمة إحدى قصائد النابغة تبدو لي غريبة أو شبه غريبة وسط مقدمات الشعر الجاهلي ، إذ لم يجعلها الشاعر في الأطلال ولا في النسيب ولا في الخمر مثلاً ، بل أدارها على الحكمة والتأمل في أحوال الحياة وصرف الدهر ، وهي القصيدة التي مطلعها :

خليلى ، عرجا ساعة وتهجرا ولوما على ما أحدث الدهر أو ذرا (١) حتى عندما يقف في قصائه على الأطلال لا تكون هذه الأطلال دائماً أطلال حبيبته وقومها ، ففي قصيده اللامية التي تبدأ بقوله :

لَنِ الدارِ كأنضا ، الخَلْلُ عَهْدُهَا مِنْ حَقِّ الدهْرِ الْأَوَّلِ (٢) نجد أن الدار هي دار قومه ، الذين أدركهم (كما يقول) عنـت الـدهـر وـخـبـلـ العـيشـ ، والـذـينـ يـأـخـذـ فـيـ الـحـدـيـثـ عـنـ أـمـجـادـهـمـ الـقـدـيمـةـ قـبـلـ أـنـ تـنـيـخـ عـلـيـهـمـ بـكـلـكـلـهـاـ الأـيـامـ ، وـبـيـدـىـ أـسـاهـ الشـدـيدـ لـاـ نـزـلـ بـهـمـ (٣) . فـهـىـ مـنـ الـمـقـدـمـاتـ التـىـ تـبـدوـ مـخـالـفـةـ لـلـتـيـارـ العـامـ فـيـ ذـلـكـ الـعـصـرـ . يـقـولـ :

لَنِ الدارِ كأنضا ، الخَلْلُ عَهْدُهَا مِنْ حَقِّ الدهْرِ الْأَوَّلِ
دار قومى قبل أن يدركهم عـنـتـ الـدهـرـ وـعـيـشـ ذـوـ خـبـلـ
إـذـ هـمـوـ مـنـ خـبـرـ حـىـ سـوقـةـ وـطـىـ ، الـأـرـضـ بـسـهـلـ أوـ جـبـلـ

لغريب قام فيهم سائل
يستخفون إلى الداعي بهم
هزة النائل فيهم والندي
.....

سأنتى جارتى عن أمتى
سأنتى عن أناس هلكوا
طلبوا المجد فلما أدركوا
وضع الدهر عليهم بركه
وأرانتى طرباً فى إثراهم

إذا ما عنى ذو اللب سائـ
شرب الدهر عليهم وأكلـ
كتاب وانتهى ذاك الأجلـ
فأراه لم يغادر غير قلـ
طرب الوالـه أو كالمختبلـ

وهناك قصيدة أخرى ربما كانت مقدمتها هي أيضاً من شكل
هذه المقدمة ، وهي القصيدة الثانية عشرة في شعر الشاعر ، والتي

تبدأ بالبيت التالي :

آلم تسأل الدار الغداة : متى هي ؟ عدد لها من السنين ثمانيا (٤)
ذلك أن الشاعر يباهى بأهل هذه الديار ، ويشبههم بالملوك العظام ،
ويصفهم بالوقار والتغلب على الأعداء والرجلة والأريحية . ومثل
هذا الكلام إنما يقوله الشعراء عادة في قومهم لا في أهل
حيبتهم . ثم هو فوق ذلك يأسى على ما أصابهم الدهر به ،
مثلاً فعل في المقدمة السابقة . فلهذا لا أستبعد أن تكون هذه
المقدمة من نوع تلك .

ويتكرر في شعر النابغة الإشارة إلى هلاك أهله وأصدقائه :
وقالت سليمى : أرى رأسه كناحبة الفرس الأشهر

فِينِي إِلَيْكَ وَلَا تَعْجِبْ
وَعُذْنَ عَلَى رِبِّنِي الْأَقْرَبْ
سَ فَرِدًا كَصِصِّيَّةَ الْأَعْضَبِ

وَذَلِكَ مِنْ وَقْعَاتِ الْمَنْوَنْ
أَتَيْنَ عَلَى إِخْرَجِي سَبْعَةَ
وَسَادَةَ رَهْطِيَّ حَنْسَ بَقِيَّ

.....

أَصَابِهِمُ الْقَتْلُ ثُمَّ الوفَاءُ هَذِهِ الْإِثْمَاءَ بِالْمُحْلَّبِ
مَضَوا سَلْفًا ثُمَّ لَمْ يَرْجِعُوا إِلَيْنَا ، فِي الْكَمْ مِنْ مُوكِبٍ ! (٥)

تَذَكَّرُ وَالذَّكْرُ تَهْبِيجُ لَذِي الْهَوَى
وَمِنْ حَاجَةِ الْمُحَزَّنِ أَنْ يَتَذَكَّرَا
نَدَامَى عَنْدَ الْمُنْذَرِ بْنَ مُحَرَّقَ أَرَى الْيَرَمِ مِنْهُمْ ظَاهِرَ الْأَرْضِ مَغْرِبَاً (٦)

لِمَنِ الْدِيَارِ كَانَ ضَاءِ ، الْخَلِيلُ عَهْدُهَا مِنْ حَقْبِ الدَّهْرِ الْأَوَّلِ ؟
دَارَ قَوْمَى قَبْلَ أَنْ يَدْرِكَهُمْ عَنْتُ الدَّهْرِ وَعِيشُ ذُو خَبْلٍ (٧)

عَهَدْتُ بِهَا الْحَيَّ الْجَمِيعَ كَائِنَهُمْ عَظَامُ الْمَلُوكِ عَزَّةٌ وَتَبَاهِيَّا
غَدَا فَتِيَا دَهْرَ فَمِّا عَلَيْهِمُو : نَهَارٌ وَلِيلٌ يَلْحَقَانِ التَّوَالِيَا (٨)
كَمَا تَكْرَرَ عَنْهُ ذَكْرُ الْمَوْتِ :

الْمَرِّ، يَرْغَبُ فِي الْحِيَاةِ ، وَطَوْلُ عِيشٍ قَدْ يَضُرُّهُ

.....

كَمْ شَامَتْ بَسَى إِنْ هَلْكُمْ سَ وَقَاتِلُ : لِلَّهِ دَرَّةٌ (٩)

إِذَا الْمَرِّ، عَلَيْهِ ثُمَّ أَصْبَحَ جَلْدَهُ كَرْحَضٌ غَبِيلٌ فَالْتَّيْئُنُ أَرْوَحُ (١٠)

تَرَى الْفَصْنَ فِي عَنْفَوَانِ الشَّبَّا
زَمَانًا مِنْ الدَّهْرِ ثُمَّ التَّوَى بِيَهْتَرَّ فِي بَهْجَاتِ خُضْرَ

فَعَادَ إِلَى صَفَرَةِ فَانْكَرَ (١١)

شيخ كبير قد تخلاه لحمهُ أفنى ثلاث عمايٰنِ ألوانًا

ثم المنية بعد ذلك كلَّهِ وكأنما يُقْتَلُ بذاك سوانا (١٣)
وأغلب الرأي أن هذه الأشعار قد قيلتْ في شيخوخة الشاعر ،
عندما أحس بالعياضة تتسرب من بين أصابع يديه ، وأهله وأحباوه
يتسلطون ويخلُّقونه وراءهم يقاسى وحشة التفرد . ومثلها أشعاره
في المشيب :

وقالت سليمى : أرى رأيَهِ كناصيَة الفرس الأشهَى (١٤)

إمَّا تَرَى ظُلُلَ الأيام قد حسرَتْ عنَّي وشَمَرَتْ ذِيَّلاً كَانَ ذَيَّالًا
وعَمَّشَنى بقايا الدهر من قُطُنٍ فقد انْضَجَ ذَا فِرْقَيْنِ مَيَّالًا (١٥)

فلا هى ترضى دون أمرد ناشيء ولا أستطيع أن أرد شبابيَا
وقد طال عهدي بالشباب وأهله ولاقيت رواعتِ يُشَيَّن النواصيَا (١٦)

ومارابها من رببة غير أنها رأت لتنسى ثابت وشاب لذاتيا (١٧)
هذا ، وقد سبق أن أوردنا له أشعاره التي يتحدث فيها عن
استطالة عمره (١٨) .

وفي شعر النابغة يقابلنا مرارا حوار بين الشاعر وإحدى
النساء :

وقالت سليمى : أرى رأيَهِ كناصيَة الفرس الأشهَى
وذلك مثُنِّي وقعاتِ المُنْسَونِ ففيتني إلينك ولا تعجبني (١٩)

وفي شعر النابغة يقابلنا مرارا حوار بين الشاعر وإحدى النساء :

وقالت سليمى : أرى رأى
كناصيَة الفرس الأشہب
وذلك من وقفات المنون فقينى إليك ولا تعجبنى (١٩)

سألتني جارتى عن أمّتى فإذا ماعنى ذو اللب سأله
سألتني عن أنساس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل
طلبوا المجد فلما أدركوا لكتابِ وانتهى ذاك الأجل (٢٠)

دعى عنك تهجا ، الرجال وأقبلى على أذلفى يملا استك فيشلا (٢١)

تلوم على هلك البعير ظعينتى و كنتُ على لسوم العواذل زارسا
الم تعلمى أنى رُزئتُ محارباً فما نكِ منه اليوم شى ، ولا لي؟ (٢٢)

باتت تذكرنى بالله قاعدة والدموع ينهل من شانيهما سبلًا
يا ابنه عتمى ، كتاب الله آخرجنى كرها ، وهل أمنعن الله مافعل؟ (٢٣)

قالت أمامة : كم عمرت زمانة وذبحت من عتْر على الأواثان ؟
ولقد شهدت عكاظ قبل متعلها فيها ، وكنتُ أُعَذِّم الفتیان (٢٤)
وقد تناول الشاعر أربع مرات على الأقل وصف ريق الحبيبة ،

وشبه نكهته براحة النباتات العطرية وطعم العسل والخمر :

كان القرنفل والزنجبيل يُغل على ريقها الأطيب (٢٥)

كأن فاما إذا تبسم من طيب مشمم وحسن مبتسم
يسئن بالضرر من برافش أو هيلان أو ضامر من القشم (٢٦)

وكأن فاما بات مفتقا بعد الكري من طيب الخمر
بالطرد أتمن من قرى النشر (٢٧)

فما نطفة كانت صبر غامدة على متمن صفوان تزعزعه الصبا
على مجنة من صفر أربى أتى بها حريص يرى في الحق أن يتكتبا
بأطيب من فيها ولا طعم ريقها إذا النجم أصفى للمغيب وصويا (٢٨)

ومن سمات شعر الجعدي كذلك ما نعثر بين العين والعين
فيه من عرى وهجا، مقدع مما تكررت إشارتنا له فيما سلف بما
يغنينا عن إعادة القول فيه هنا (٢٩) .

كما وجدته في بعض الموضع يضمن الأمثال :

وبعض الأخلا، عند البلا ، والرزا، أروع من ثعلب (٣٠)

وإن امرأً أهدى إليك قصيدة كمتبني تمرأ إلى أرض خيرها (٣١)

فقلت لها : عيشي جغار ، وجرارى بلحم امرى، لم يشهد اليوم ناصره (٣٢)
وهناك اقتباسات من القرآن في شعره المتبقى لنا تبلغ العشرة . وهذه بعضها :

فلما قضيت كل وتر دمتنة وأدرككم نصر من الله متعجب (٣٣)

فأصبح في الناس كالسامري إذ قال موسى له : لاما (٣٤)

إن يك ضاع ماحلتْ قد حلَّ إثما كالطود من إضم (٣٥)

كان زفير القوم من خوف شره وقد بلغت منه النفوسُ التراقيا
زفير متّم بالشيل طرقـت بكاـلـه فـلا يـرـمـ المـلـقاـ (٣٦)
وهذا طبعاً غير قصيـته « العـدـ للـهـ لـاشـرـيكـ لـهـ » ، فـهـى
مـلـوـيـةـ بـالـأـلـفـاظـ وـالـعـبـارـاتـ الـقـرـآنـيـةـ ، وـهـوـ لـاـشـكـ مـنـ تـأـثـيرـ
الـإـسـلـامـ (٣٧) .

وتكتـشـرـ فـيـ قـصـانـدـ النـابـغـةـ أـسـمـاءـ الـمـواـضـعـ وـالـأـشـخـاصـ كـثـرـةـ
لـافـتـةـ . وـيـجـدـ الـقـارـىـ ، أـمـثـلـةـ لـهـذـاـ الـملـحـ فـيـ صـ /ـ ٥ـ ، ٧ـ ، ٨ـ ،
٩ـ ، ٢٥ـ ، ٦٧ـ ، ١٠١ـ ، ١٠٣ـ ، ١٥١ـ ، ١٦٢ـ ، ١٨٠ـ ، ١٨٦ـ .
١٩٩ـ ، ٢٢٤ـ ، ٢٢٥ـ ، ٢٢٧ـ ، ٢٣٠ـ منـ الـديـوانـ .

وـمـنـ آـنـ نـفـاجـأـ بـلـفـظـةـ حـوشـيـةـ قـدـ مـاتـتـ بـلـ مـاتـتـ حـتـىـ
صـيـفـتـهـ ، مـثـلـ : « يـوـمـ أـرـونـانـيـ » ، أـىـ صـعبـ (٣٨) ، وـكـذـلـكـ
« عـيـطـمـوسـ » فـيـ الـبـيـتـ التـالـيـ وـصـفـاـ لـلـنـاقـةـ ، وـمـعـنـاهـ : الـفـتـيـةـ
الـعـظـيمـةـ الحـسـنـاـ :

سـدـيـنـ لـدـيـنـ عـيـطـمـوسـ شـيـلـةـ تـبـلـزـ بـلـهاـ الـمحـنـاتـ الـجـنـبـ (٣٩)
وـ « مـهـرـبـيـ » (٤٠) ، أـىـ الـنـىـ يـبـيـتـ لـدـاهـيـةـ فـىـ
نـفـسـهـ ، وـ « عـقـمـشـ » (٤١) ، أـىـ الـجـمـلـ الـقـوـىـ الشـدـيدـ ،

و « هُنَبَا » (٤٢) ، أى المرأة الحمقاء . ولكن هذه هى تقريراً كل الألفاظ التى من هذا النوع فى شعر الشاعر ، فهو مقلّ من حوشى الكلام .

وفى شعر النابغة ، كما هو الحال عند كثير من شعراً ، ذلك العصر ، تتردد كلمة « أبلغ (كذا إلى فلان) » أو مافى معناها . ويسكن وجود بعض الشواهد على تلك اللفظة فى ص / ٧ ، ١٥٨ ، ١٦٤ ، ٢١١ ، ٢٣٤ من ديوانه .

ويكثر الطباق وال مقابلة كثرة ملحوظة . ويجد القارىء أمثلة على ذلك فى ص / ٢٦ ، ١١ ، ٢٦ ، ٣٤ ، ٤٢ ، ٥٠ ، ٥٢ ، ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٨ ، ١٠٥ ، ١٠٨ ، ١١ . وبالمقابلة فإن الصفحة الواحدة كثيراً ما تضم عدة طباقات .

ويتكرر عند النابغة قوله إنه لولا كذا لفعل كذا وكذا . وعادة ما يكون السبب المانع له من فعل الشىء قيمة كريمة ، كالتعوى أو صلة الرحم مثلاً . وقد يكون التعبير بـ « لولا » أو بكلمة فى معناها :

أبى لى البلا، وأنى امرز إذا ماتيئت لم أرتى (٤٣)

ملكتا فلم نكشف قناعاً لعنة ولس نستلب إلا الحديد المسترا
كراهم فينا تباع وتشترى ولكن أصحاباً نمتنا إلى العلا
وأبا، صدق أن نروم المحرقاً (٤٤)

منع الفَلَازْ ، فقلم أهِمْ به
وآخر الفدر إذا همْ فَعَلْ
خبيثةُ الله وأنى رجُلْ إنما ذِكْرِي كناري بِقَبْلَ (٤٥)

يا ابن العيا ، إنتى لولا الإله وما
قال الرسولُ لقد أنسِيْكَ الخالا
لقد وسْتِكَ وسمَا لايغِيْبِه
ثوباك يبرق في الأعناق أحوالا (٤٦)

فلولا أن تَقْلِبَ رهطُ أمَّى
وكعِيْر ، وهو مَنْ ذو مكانِ
تراجَتْنا بصدر القرد حتى
نصير كأننا فرسا رهان (٤٧)

لولا ابن حارثةَ الْأَمِيرُ لقد
أغضيَتْ من شتمي على زغم (٤٨)
وفي شعر النابغة لون من التكرار يقوم على ذكر اللفظة أولًا
مفردة ثم ذكرها بعد ذلك مضافة (٤٩) :
ومنْ دون ذاك هُويْ لَهْ هوى القُطامى للارنب (٥٠)

فلَئِا دَنَا لِلْخَرْجِ خَرَجْ عُنْيَزَةَ وَذِي بَقِيرِ أَقْسَى بِهِنِ الْمَارِسَا (٥١)

هديِّرْ هديِّرْ الشَّرُورِ يَنْفَضُ رَأْسَه يَذْبُتْ بِرُوقِيهِ الْكَلَابُ الصَّوَارِيَا (٥٢)

أَتَاكَ أَبُو لَبْلَى يَجُوبُ بِهِ الدَّجِيْ دَجِيْ اللَّيلِ خَوَابُ الْفَلَاهَ عَثَمَ (٥٣)

لا أَخْدُعُ الْبَرَّ بِرَأْسِ الزَّعْمِ أَرَأْمَهُ ولا أَقِيمُ بِدارِ العَجَزِ والْهُنُونِ (٥٤)

رأيت البكر بكر بنى ثمود وأنت أراك بكر الأشعرينا (٥٥)

卷之三

أقرت منهم الأجراء فالنهاية
هي وحيطى فرضة الأحوال
داد قرر فالكلور كور امثال (٥٦)
فحجى فالغفر فالصفح فالاج

وَشَمَةٌ تُرْكِيبٌ تَرَدَّدٌ عَدَّةٌ مَرَاتٌ فِي شِعْرٍ النَّابِغَةِ يَقُولُ عَلَى النَّفْيِ
الْمَزْدُوجِ وَيَتَخَذُ غَالِبًا الشَّكْلَ التَّالِيَ : « لَا ... وَلَا ... » :

جَرَوْنَ كَجَرَوْ الْحِمَارِ جَرَدَهُ الْخَرَاسُ لَا نَاقَسْ وَلَا هَزَمْ (٥٧)

四

فلا هي ترضي دون أمرد ناشي، ولا أنتطيئ أن أردة شبابا (٥٨)

三

وحات سواد القلب لا أنا باغيا سواها ولا عن حيها متراخيا (٥٩)

卷之三

الآن تعلم أنني رُزّحتُ محاربًا فمالك منه التيم شيءٌ ولا ليَا (٦٠)

卷之三

ولم يُمس بالسیدان نَيْمَ نامع ولا ضوء نار ان تنور راک^(٦١)

卷之六

دار **هيّ** كانت لهم زمان التربيعية لا **اعْنَزَلَ** ولا أكفال (٦٢)

三

للون يوم الخطاب للأثقال (٦٣) لاضنال ولاعواير ختنا

و عند النايقة عدد طيب من التعبيرات والصور الطازجة . ومن

ذلك « المُرْت الصَّهَابي » و « الشَّرَّ العَرَبَانِ » :

فجئنا إلى الممر الضبابي، بعدما تجرد عريانٌ من الشّرّ أخذَ (٦٤)

وكذلك العبارة التي تصور الرنين العميق والضخم لصهيل حسان وكأنه خارجٌ لا من صدره ، بل من جوف بئر عميق : ويصهل في مثل جرف الطرى صهيلًا يبيت للنَّفَرِ (٦٥)
ولعل جريرا قد استهل هذه الصورة في قوله :
يشققَ للنظر البعيد كأنما إرناها ببوابن الأشطان (٦٦)
ولنتأمل أيضاً الصورة التي في البيت الأخير من الأبيات الثلاثة الآتية ، حيث يشبه الشاعر ببررة ثور وحشى ببررة رجل من الروم ضرب على ظهره ضرباً مبرحاً دون جريمة فأخذ يتسلل ويحأر طالباً النجدة :
فهایجهما (٦٧) حُثُّ القوائم سابعْ رعنَ بِجَرَاءِ الْجِنِّ بالصيف أشهرًا
أتیح لها من أرضه وسأنه فلما رأها مطلع الشمس ببررا
كبيرة الرومى أوجعَ ظهره على غير جرم فاستضاف لِيُنْصَرَا (٦٨)
وكذلك وصفه الأرض بأنها « بلاد الله » ، وهو نفس التعبير الذي تستعمله الآن لغتنا العالمية في قولنا : « بلاد الله . خلق الله » . فهذه النكهة الشعبية تكسبه حلاوةً ولطافةً :

فر في بلاد الله والتمس الغنى تعيش ذا يسار أو تموت فُتُقدرا (٦٩)
ولا جرم أن وصفه للهلكى من أهله بأن الدهر قد شرب عليهم وأكل هو من الصور الرائعة . صحيح أننا نستخدم الآن هذا التعبير دون أن نلتفت إلى مافيته من خيال ، وذلك لكثره دورانه على الألسن وأسلات الأقلام ، ولكننا لو خرجنا من طوق الإلف الحديدي

ونظرنا إليه بتأنٍ لبان لنا تعبيراً جميلاً موحياً مؤثراً . إن تصوير الدهر وقد تربع عليهم وأخذ يأكل ويشرب على راحته ولا يبالى سقوط فتات الخبز ويقع الإدام والدسم عليهم لهو من وثبات الخيال :
سأنتى عن أناس هلكوا شرب الدهر عليهم وأكل (٧٠)
ومثل هذه الصورة طرافةً قوله يصف مشيب رأسه :
وعمتنى بقایا الدهر من قُطُنٍ فقد أضَّجَ ذا فِرْزَقِينَ مِنَالا (٧١)
حيث شبه شعره الأبيض بالقطن ، وهو تشبيه لا ذكر أنى قابلته
فى هذا السياق فى شعر ذلك العصر .

كذلك فإن فى قوله « ممن لا تَعْدَ » فى البيت التالى :
من الجنود وممن لا تَعْدُ ، فلا تغتر بما كان فيه الناس أمثالاً (٧٢)
خروجاً على المألوف من قولهم : « لا يُعْدَ ولا يُحْصَى ». إن التحرير
فى العبارة يبدو ضئيلاً لاقية له ، لكن تحويل الكلام من صيغة
المبني للمجهول إلى المعلوم وإسناده بالذات إلى ضمير المخاطب قد
أكب الكلام حيوةً وجعل القارئ أو السامع جزءاً من الكلام ،
أو كما نقول الآن : وضعه فى قلب الصورة ، وصار الكلام بذلك ذا
خصوصية بعد أن كان عاماً مجرداً .

وأيضاً فإن وصفه ليوم عصيّب أوقع قومه فيه بأعدائهم فى
إحدى المعارك بأنه « يَوْمٌ ... غير ذى متنفّس » هو من الأوصاف
النابضة الغنية ، إذ هو وصف قابل لأكثر من تفسير : فقد يكون

المعنى أن أحداً لا يستطيع التنفس فيه ، إذ إن حرّ العرب وثقل الهزيمة وما أصاب نفوس الأعداء، فيها من غمٍّ وذلة قد كظم الأنفاس ، أو أنهم من رعبهم قد حبسوا أنفساً توجساً من المصائب التي يتوقعون سقوطها على رؤوسهم وهيبةً لقوم الشاعر . وما يخلع على العبارة مزيداً من الطرافه استخدام الشاعر للمصدر الميمى « متنفس » ، وهو مصدر قليل الاستخدام وبخاصة مع الأفعال المكونة من أكثر من ثلاثة أحرف ، بدلاً من المصدر العادى : « تنفس ». يقول النابغة :

رسوم شديـدـ غير ذـي مـتنـفـسـ أصـمـ علىـ منـ كانـ يـحـسـبـ رـاقـاـ (٧٣)
وفـىـ الشـعـرـ الـعـرـبـيـ الـقـدـيمـ كـنـيـاتـ مـتـعـدـدـ لـلـدـلـالـةـ عـلـىـ
الـتـأـيـدـ ،ـ مـثـلـ :ـ «ـ مـاحـنـتـ وـرـقـاءـ»ـ وـ «ـ مـاـ أـقـامـ ثـهـلـانـ /ـ
ثـبـيرـ /ـ عـسـيـبـ»ـ (٧٤)ـ .ـ وـ «ـ مـاـ أـهـلـ الـحـجـيجـ وـلـبـوـ»ـ ...ـ
إـلـخـ .ـ أـمـاـ قـولـ النـابـغـةـ :ـ «ـ مـاغـرـدـ رـاكـبـ»ـ فـيـبـدوـ لـىـ شـيـئـاـ طـرـيفـاـ :ـ
تعـالـواـ نـحـالـفـ صـامـنـاـ وـمـازـحـاـ عـلـيـهـمـ نـصـارـاـ مـاتـفـرـدـ رـاكـبـ (٧٥)

هـذـاـ ،ـ وـفـىـ الـبـيـتـ التـالـىـ صـورـةـ مـاـ أـبـدـعـ !ـ وـمـاـ أـرـوـعـ !ـ :ـ
بـالـأـرـضـ أـسـاهـمـ عـجـزاـ وـأـنـفـهـمـوـ عـنـدـ الـكـراـكـ بـغـيـاـ .ـ يـاـ لـذـاـ عـجـيـناـ (٧٦)
وـلـاـ أـحـسـبـ هـذـاـ الـكـلـامـ مـعـتـاجـاـ مـنـ جـانـبـىـ إـلـىـ تـعـلـيقـ .ـ

وـقـدـ تـكـرـرـ عـنـدـ النـابـغـةـ اـسـمـادـهـ الصـورـةـ مـنـ عـالـمـ الـلـابـسـ :ـ
تـرـدـيـشـ ثـوبـ الـذـلـ يـوـمـ لـقـيـهـاـ وـكـانـ رـدـائـىـ نـخـوـةـ وـتـجـبـرـاـ (٧٧)

إذا ما الضجيج ثنى جيدها شئت عليه فكانت نباسا (٧٨)

فالحمد لله إذ لم يأتني أجلى حتى لبست من الإسلام سريالا (٧٩)

لقد وسمتُك وسمأ لا يغيبُك ثوباك يبرق في الأعناق أحوالا (٨٠)

لو تستطعون أن تُلْقُوا جلودكموا وجعلوا جلد عبد الله سريالا (٨١)

ولبست م الإسلامِ ثوباً واسعاً من سبب لآخرِ ولا منانِ (٨٢)
وفي غير قليل من الأحيان يلجأ النابفة الجعدى فى وصفه
لنظرٍ أو موقفٍ ما إلى إيراد بعض التفاصيل التي تجعل الصورة
تکاد تنطق . ومن هذا قوله فى وصف معركة دارت بين قبيلته
وأعدائهم :

يُطْعَنُ كشهاد العجاش شهيدُه
وضرب له ما كان من سعادٍ خلا
فلم أر يوماً كان أكثر باكياً
ووجهها ترى فيه الكآبة مجتلبي
عزيز عليها أن يفارقون مُفتَلبي
ومُفْتَلِّاً عن شدئ أم تحبه
وأشْمَط عرياناً يُشَاهِدُ كِتافَهُ
يُلام على جهد القتال وما انتلي (٨٣)

وممثل ذلك تصويره التالي لرحيل القبيلة حيث يذكر الأصوات
المختلفة من غناً ونداء للإبل ونقر وحداء ، حتى ليغيل للسامع أو
القارئ، أنه يسمع بأذنيه هذا كلّه ويشاهد رحيل القبيلة بأم عينيه .

ولا ينبغي أن ن فهو عن استخدامه لضمير المخاطب هنا أيضاً :
إذا ظعنوا يوماً سمعت خلامهم غناً وتأليها ونقرها وحاديما

ورنَّة هَنَاف العشَّى مكَبَل ينazuعه الأوْتارَ من لِيس راميا (٨٤)

ويجرى فى نفس الطريق البيت التالى :

ولم يُمْسِ بالسيدان بَحْ لسامِي ولاضو، ناري إن تنور راكب (٨٥)

وإن من أمتع اللوحات الشعرية هذه اللوحة التى تعرض علينا صورة أحد خصوم قبيلة الشاعر متروكة جثته فى العراء إثر المعركة طعاما للضباع وقد انحشرت فى إلبيته الحربة التى قُتِلَ بها

وانكسرت فى جسده قناة الرمح التى سُدَّدت إليه :

تركوا عمران مجندلاً لضباع حزلمه زمله

فى صلاة الله خُشُّر وقناة الرمح مُنْقَصِّمه (٨٦)

إن هذه التفصيلات لها كل الخطير فى الشعر والأدب . إنها

تجسم المشهد وتتنفس فيه الحياة .

وفى النابغة بساطة فى التعبير عن مشاعره دون تحرّج ، فهو

يقول مثلاً إنه إذا لم يستطع أن يرى حبيبته فإنه يجد شفاء نفسه فى رؤية أى من جيرانها . إن سعادته فى الحب تتحقق بأدنى

ملابسة :

تفصَّى زمان الوصل يبني وبينها ولم ينقضِ الشوق الذى كان أكيرا

وإنسى لاستشفى بروزية جارها إذا ما لفاؤها علىَّ تعذراً (٨٧)

وإذا طالبهم أعداؤهم أن يردوا الروح فيمن قتلواهم منهم أخذ

الأمر بجدة ، وكان جوابه ببساطة : إننا لانستطيع أن نحيى من

مات ، ولكننا نستطيع أن نحيى من كان حيَا :

وقالوا لنا : أحيا لنا من قتلتم
 لقد جنتموا إدا من الأمر مُنكرا
 ولنسنا نرء الروح في جسم ميتٍ (٨٨)
 وهو يأخذ الحياة كما هي ، ويعرف أنه متى مات فسوف
 يشمت به قوم ويترحم ويشنى عليه قوم آخرون ، ولا يجد أية غضاضة
 في أن يصرح بذلك في شعره :
 كم شامت لى ابن هلك — سُوقاَسِلٌ : لله دره (٨٩)
 وهو لا يبالى أن يقول بمنتهى البساطة لزوجته ، التي كرهت أن
 يخرج للجهاد ويتركها والأولاد ودهم ، أن تأخذ لها زوجاً من
 بعده إن لم يقدر له أن يعود من الميدان :
 فبان رجعت فرب الناس يرجعنى وإن لعقت بربى فابتغى بذلا (٩٠)
 ومثله هذا التشبيه الذي يصور به من يترك من اعتقد عليه
 ويحاول الانتقام من غيره :

أترك معشراً قتلوا هذيلاً

وتفعلتى بقتلسى من جذاماً

كذلك داء ياحدى خصبيه وأخرى ما تشكي من سقام
 سكين له ذكر مذماً ألح على الصحيحه فاتتعاهما
 فضم ثيابه من غير بُرئٌ على شعرا، تُفريض بالبهام (٩١)
 وحين يُكثِر خيال زوجته التي كان قد طلقها من زيارته في
 النام ، وكان لايزال يحبها فيما يبدو ، لا يتورع عن أن يقذف بما
 في صدره من حم الغضب شاتماً لاعناً متهكمًا بألفاظ اللغة

اليومية وعباراتها وعفويتها :

مالى ولا بنة المجنون تطرقنى بالليل ؟ إن نهارى منك يكفىنى

وشرّ خسو خبائِ أنت مولجـه مجنونـة هنـباء بـنت مـجنـون
تستخبـث الوـطـبـ لم تـنـقـضـ مـرـيـسـهـ وـتـقـضـ العـبـ صـرـقاـ غير مـطـحـونـ (٩٢)
والطـرـيفـ أنـ النـابـغـةـ قدـ فـعـلـ عـنـدـ اـبـنـ الـزـيـرـ ماـ تـهـكـمـ بـهـ عـلـىـ
زوـجـتـهـ ،ـ إـذـ يـعـكـونـ (ـكـمـاـ مـرـ بـناـ)ـ آـنـهـ أـخـذـ يـأـكـلـ العـبـ صـعـيـحاـ
بعـدـ آـنـ وـسـقـ لـهـ اـبـنـ الـزـيـرـ مـنـهـ أـحـمـالـاـ ،ـ وـذـلـكـ مـنـ جـوعـهـ .

هـذـاـ ،ـ وـقدـ وـجـدـتـ فـىـ شـعـرـ النـابـغـةـ أـشـيـاءـ تـشـبـهـ أـوـ تـقـارـبـ مـاـ

فـىـ شـعـرـ اـبـنـ أـبـىـ سـلـمـىـ :

عـفـتـ بـعـدـ حـىـ مـنـ سـلـيـمـ وـعـامـرـ تـفـانـواـ وـدـقـواـ بـيـنـهـ عـطـرـ مـئـشـ (٩٣)

تبـصـرـ خـلـيلـ ،ـ هـلـ تـرـىـ مـنـ ظـلـاعـنـ رـحلـ بـنـصـ الـلـيلـ مـنـ بـطـنـ مـُنـعـمـ
وـأـصـبـحـنـ كـالـلـؤـمـ النـاعـمـ غـلـوـةـ عـلـىـ وجـهـ مـنـ طـاعـنـ يـتوـسـ (٩٤)

أـكـيـ بـغـيرـ اـسـهـاـ وـقـدـ عـلـمـ اللـهـ هـخـيـاتـ كـلـ مـكـتـمـ (٩٥)
وـأـخـيـراـ نـخـتـمـ هـذـاـ فـصـلـ بـعـضـ الـمـلاـحظـاتـ الـلـغـوـيـةـ :

إنـ كـلـمـةـ «ـأـكـثـرـ»ـ فـىـ الـبـيـتـ التـالـىـ ،ـ وـهـىـ خـبـرـ لـبـتـدـاـ ،ـ قـدـ
نـصـبـتـ تـجـبـبـاـ لـلـاقـواـ ،ـ وـحـقـهاـ الرـفـعـ :

كـذاـكـ لـعـمـرـ الـدـهـرـ يـوـمـانـ ،ـ فـاعـرـفـواـ :ـ شـرـ وـخـيـرـ ،ـ لـاـ بـلـ الشـرـ أـكـثـرـاـ (٩٦)
وـالـفـعـلـ «ـيـجـعـلـ»ـ فـىـ الـبـيـتـ التـالـىـ جـاءـ بـعـدـ «ـلـنـ»ـ

الناصبة ، ومع ذلك جُزم :

اذا انتخر الازدى يوماً فقل له : تأخر فلن يجعل لك الله مفخرا (٩٧)

واستعملت « التقوى » في البيت التالي مذكورة :

أقيس على التقوى وأرضى بفعله و كنت من النار المحرفة أوّل جرا (٩٨)

والشهور استعمالها مؤثثة . ومن النصوص التي وجدتها فيها أيضا

مذكرة أول خطبة خطبها الرسول عليه السلام بالمدينة وقال فيها :

« إن تقوى الله لمن عمل به على وجل ومخافته من ربه عَوْنَ صدق على ماتبغون من أمر الآخرة ... وإن تقوى الله يوقّي مقته ويوقّي عقوتيه ويوقّي سخطه ، وإن تقوى الله يبيض الوجوه ويرضى الرب ويرفع الدرجة » (٩٩).

ويبدو لي إدخال « اللام » على كلمة « كتاب » في البيت التالي ركيكا :

طلبوا المجد ، فلما أدركوا لكتاب وانتهى ذاك الأجل (١٠٠)

كما أن نص الشاعر في البيت التالي على أن ابن جعفر كان مغلولاً (بل ومكبلًا أيضًا) بعد أن قال في الشطرة الأولى إن عبدالله أطلق غلّه لامعني له ، فهى زيادة دون داع :

وأنطلق عبد الله غل ابن جعفر علائة مغلولاً يقاد مكبلًا (١٠١)

وبالمثل لم يوفق الشاعر في البيت التالي ، إذ وضع جملة

« ألا كذبوا » الاعتراضية في موضوع يخص بها ، علاوة على أن

تكرير « ألا » في جملة واحدة قد جعل البيت ثقيلاً :

ألا زعمت بنسو كعبي بانى - ألا كنبرا - كبير السن فاني (١٠٢)

كذلك ففي البيت الأخير من البيتين التاليين :

فلا تنتهي أضفان قرمي بينهم وسأتهم حتى يصيروا مواليا
موالى حلف لاموالى قرابية ولكن قطينا يُسألون الآثاريا (١٠٣)
نراه لم ينصب « موالي » الثانية رغم أنها معطوفة على « موالي »
الأولى التي هي بدل من « مواليا » الموجودة في البيت الأول
والمنصوبة خبراً لـ « يصيروا ». وهذا من ضرورات الشعر .

أما في قوله :

ولكن أخو العلبا، والجود مالكُ أقام على عهد النوى والتصافيا (١٠٤)
فقد عكس الآية ، إذ نصب « التصفافيا » وحقها الجر عطفاً على
« النوى » ، التي هي مضاف إليه .

ولاحظ « الباء » الداخلة على « الفرج » في قوله :

نَضْرِبُ بالبيض ونرجو بالفرج (١٠٥)

ولا أقول إن ذلك غلط ، ولكنني أحببت أن ألفت النظر إلى ذلك
الاستعمال غير المألوف .

وانظر كذلك دخول الباء على الضمير بعد الفعل « اسأل »
في البيت الآتي ، وعادة ما يُستعمل الحرف « عن » في هذا
الموضع :

واسأل بهم أنساً إذا جعلت حرب العدة تشول عن عُقم (١٠٦)

وبالمناسبة ، فقد وردت « الباء » مع الفعل « سأّل » في القرآن الكريم ، في قوله تعالى : « سأّل سائل بعذابٍ واقع * للكافرين ليس له دافع * من الله ذي المعارج » (١٠٧) . غير أن هذا غير ذاك ، فالسؤال في الآية سؤال الاستعجال والتهكم ، لأن الكافرين كانوا يسخرون من تهديد القرآن لهم بالعذاب ويتحدون الرسول أن ينزل بهم ذلك العقاب الذي يحذّرهم منه . أما في البيت فال فعل على معناه الأصلي ، وهو الاستفسار .

وبهذا نصل إلى ختام هذه الدراسة لشاعر مُخضّر كبير ظلمته أقوالٌ غير متأنية ولا ممحضة . ونرجو أن يكون ما كتبناه قد أعطاه حجمه الذي يليق به رغم الهنات التي وجدنا في شعره ، إذ لا يخلو شعر شاعر ، بالغة ما بلغت عبريته ، من هنات . وعلى الله التوفيق .

الهوامش

- ١- شعر النابغة الجعدي / ٣٥ .
- ٢- السابق / ٩٧ - ٩٨ .
- ٣- لعيid الله بن قيس الرقيات قصيدة تبدأ بمقيدة مثل هذه المقدمة ، وهي القصيدة التي مطلعها :
أقفرتْ بعد عبد شمسِ كذا؟ فكدىٌ فالركنُ فالبطحاءُ
(ديوان عبدالله بن قيس الرقيات / تحقيق د. محمد يوسف نجم / دار صادر ودار بيروت / ١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م / وما بعدها) .
- ٤- شعر النابغة الجعدي / ١٦٦ وما بعدها .
- ٥- السابق / ١٣ ، ٣٣ - ٣٤ .
- ٦- السابق / ٦١ .
- ٧- السابق / ٩٧ .
- ٨- السابق / ١٦٩ .
- ٩- السابق / ١٩١ .
- ١٠- السابق / ٢١٨ . والتبين : توسيع الميت يمينه في القبر .
- ١١- السابق / ٢١٩ .
- ١٢- السابق / ٢٢٦ .
- ١٣- السابق / ٢٣٩ .
- ١٤- السابق / ١٣ .
- ١٥- السابق / ١٠٠ .
- ١٦- السابق / ١٧٠ .
- ١٧- السابق / ١٧٢ .
- ١٨- وسيكن للقارئ، أن يجعلها في ص / ٣٦ ، ٧٨ ، ١٦٠ من الديوان .

- .١٩- شعر النابغة الجعدي / .١٣
- .٢٠- السابق / .٩٨
- .٢١- السابق / .١٢٤
- .٢٢- السابق / .١٧٢ - .١٧٣
- .٢٣- السابق / .١٩٤
- .٢٤- السابق / .٢٠٦
- .٢٥- السابق / .٣٢
- .٢٦- السابق / .١٥١ والضّرُو : شجر طيب الرائحة يستاك به وينجُّعل ورقه في العطر .
- .٢٧- السابق / .١٨٩
- .٢٨- السابق / .٢١٣
- .٢٩- يمكن الرجوع في ذلك إلى ص / .١٢٤ ، ١٢٦ ، ٢٠٢ ، ٢٣٧ .
- .٣٠- ص / .٢٦
- .٣١- ص / .٧٥ . وهو كقولنا الآن : « بيع الماء في حارة السفائن » .
- .٣٢- ص / .٢٢٠ . وجعار : الضبع . والمعنى : هذه فرصة لم تكوني تطعمني فيها .
- .٣٣- ص / .٩ . وهو من قوله تعالى في سورة « الصاف » : « نصر من الله وفتح قريب » .
- .٣٤- ص / .٨٣ . وعبارة « لا مساس » هي من كلام السامری في سورة « طه » .
- .٣٥- ص / .١٥٨ . وهو من قوله عزّ وجلّ : « فقد احتمل بهتانا وإثما مبينا » في سورة « النساء » .
- .٣٦- ص / .١٧٦ . وهو من قوله تعالى : « بلفت التراقي » في سورة « القيامة » .
- .٣٧- تشبهها في ذلك قصيدة الصحابي النعمان بن بشير، رضى الله عنه ، التي مطلعها :

صادق نقشمر منه الجلود

قد أتاك من النبي كتاب

- انظر « شعر النعسان بن بشير » / تحقيق د. يحيى الجبوري / مطبعة المعارف / بغداد . ٨٩ / .
- ٣٨ - شعر النابغة الجعدي / ١٦٣ .
- ٣٩ - ص / ١٨٣ .
- ٤٠ - ص / ١٩٦ .
- ٤١ - ص / ٢٠٥ .
- ٤٢ - ص / ٢٠٨ .
- ٤٣ - ص / ٢٧ .
- ٤٤ - ص / ٧٢ .
- ٤٥ - ص / ٩٦ .
- ٤٦ - ص / ١٠١ .
- ٤٧ - ص / ١٦٥ .
- ٤٨ - ص / ٢٣٤ .
- ٤٩ - هذه السمة موجودة أيضاً في شعر بشار ، الذي أنوى القيام بدراسة واستخلاص ملامحه .
- ٥٠ - ص / ٢٣ .
- ٥١ - ص / ١٨٠ .
- ٥٢ - نفس الصفحة السابقة .
- ٥٣ - ص / ٢٠٥ .
- ٥٤ - ص / ٢٠٧ .
- ٥٥ - ص / ٢١٠ .
- ٥٦ - ص / ٢٢٠ .
- ٥٧ - ص / ١٥٣ .
- ٥٨ - ص / ١٧٠ .

- . ٥٩ - ص / ١٧١ .
- . ٦٠ - ص / ١٧٢ .
- . ٦١ - ص / ١٨٢ .
- . ٦٢ - ص / ٢٢٩ .
- . ٦٣ - ص / ٢٣٠ .
- . ٦٤ - ص / ٩٧ . و « الصهابي » الأحمر . والمقصود « الموت الرهيب » .
- . ٦٥ - ص / ٢٣ .
- . ٦٦ - يشتفن : يتشفون . وبواطن الأشطان : الآبار الواسعة التي لا تمسّ أشطانها (أي جبانها) جوانبها .
- . ٦٧ - هايج ذلك الثور البقر .
- . ٦٨ - ص / ٤٢ .
- . ٦٩ - ص / ٧٣ .
- . ٧٠ - ص / ٩٨ .
- . ٧١ - ص / ١٠٠ .
- . ٧٢ - ص / ١١٠ .
- . ٧٣ - ص / ١٧٦ .
- . ٧٤ - انظر تنوع الشاعر على هذه الكنية في قوله : « ما أقام ابنا شام » ، يقصد هضبيين في ديار قومه / ص ٢٠٠ .
- . ٧٥ - ص / ١٨٥ .
- . ٧٦ - ص / ٢١٢ .
- . ٧٧ - ص / ٧١ .
- . ٧٨ - ص / ٨١ .
- . ٧٩ - ص / ١٠١ .
- . ٨٠ - نفس الصفحة .

- . ٨١ - ص / ١١١ .
- . ٨٢ - ص / ٢٠٧ .
- . ٨٣ - ص / ١١٨ . والتشهّاق : الشهّيق . وخلا : انفصال . ومُفْتَحلاً : متزوعاً . ومثلها « مُفْتَلٌ » . وما اثنتي : ماقصر .
- . ٨٤ - ص / ١٦٩ .
- . ٨٥ - ص / ١٨٢ .
- . ٨٦ - ص / ٢٠٤ .
- . ٨٧ - ص / ٧٠ .
- . ٨٨ - ص / ٧٢ .
- . ٨٩ - ص / ١٩٠ .
- . ٩٠ - ص / ١٩٤ .
- . ٩١ - ص / ٢٠١ - ٢٠٢ .
- . ٩٢ - ص / ٢٠٩ .
- . ٩٣ - ص / ١٣٩ .
- . ٩٤ - ص / ١٤١ .
- . ٩٥ - ص / ١٥٠ . ويلاحظ أن الفعل « يتوصّم » قد كُبِّرَت ميمه بما يرجى أنه مجزوم ، مع أن حقه الرفع .
- . ٩٦ - ص / ٦٩ .
- . ٩٧ - نفس الصفحة السابقة .
- . ٩٨ - ص / ٧٤ .
- . ٩٩ - تاريخ الطبرى / ٢ / ١١٥ .
- . ١٠٠ - شعر النابغة الجعدي / ٩٨ .
- . ١٠١ - السابق / ١١٩ .
- . ١٠٢ - ص / ١٦٢ .

- . ١٠٣ - ص / ١٧٨ .
- . ١٠٤ - ص / ١٧٩ .
- . ١٠٥ - ص / ٢١٦ .
- . ١٠٦ - ص / ٢٣٦ .
- . ١٠٧ - المعارض / ١ - ٣ .

المصادر والمراجع

- * القرآن الكريم .
- * ابن خلدون / مقدمة ابن خلدون / دار الشعب / القاهرة .
- * ابن رشيق / العمدة / تحقيق محمد محى الدين عبد العميد / المكتبة التجارية الكبرى / ١٣٧٤ هـ - ١٩٥٥ م .
- * ابن سلام / طبقات فحول الشعراء / تحقيق محمود شاكر / مطبعة المدنى / القاهرة .
- * ابن عبد البر / الاستيعاب / المطبعة الشرقية / القاهرة .
- * ابن عبد البر / الاستيعاب / المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة .
- * ابن قتيبة / الشعر والشعراء / تحقيق أحمد شاكر / دار المعارف .
- * ابن ماجة / سنن ابن ماجة .
- * ابن نباتة / سرح العيون في شرح رسالة ابن زيدون / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / دار الفكر العربي / ١٣٨٣ هـ - ١٩٦٣ م .
- * أبو زيد القرشي / جمهرة أشعار العرب / جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- * أبو سعيد السكري / شرح ديوان كعب بن زهير / الدار القومية للطباعة والنشر / القاهرة / ١٣٨٥ هـ - ١٩٦٥ م .
- * أبو هلال العسكري / الصناعتين / الآستانة / ١٣٢٠ هـ .

- * أحمد الإسكندرى ومصطفى عنانى / الوسيط فى الأدب العربى وتأريخه / دار المعارف / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ .
- * الأصفهانى / الأغانى / مؤسسة عز الدين / بيروت .
- * البخارى / صحيح البخارى .
- * البغدادى / خزانة الأدب / المطبعة الأميرية / ط ١ .
- * بلاشير / تاريخ الأدب العربى / ترجمة د. إبراهيم الكيلانى / دار الفكر / ط ٢ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .
- * الشعالبى / خاصَّ الخاصَّ / القاهرة / ١٣٢٦ هـ - ١٩٠٨ م .
- * جرجى زيدان / تاريخ الأداب العربية / مراجعة وتعليق د. شوقى ضيف / دار الهلال .
- * حنا الفاخورى / تاريخ الأدب العربى / المطبعة البوليسية .
- * د. خليل إبراهيم أبو ذياب / النابغة الجعدي - حياته وشعره / دار القلم (دمشق) والمنارة (بيروت) / ط ١ / ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م .
- * الخنساء / ديوان الخنساء / دار الأندلس / بيروت / ط ٩ / ١٩٨٣ م .
- * د. سامي مكى العانى / الإسلام والشعر / عالم المعرفة (٦٦) / الكويت / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م .
- * السجستانى / المعمرون والوصايا / تحقيق عبد المنعم عامر / عيسى البابى الحلبي / ١٩٦١ م .
- * د. سعود محمود عبد العبار / شعر الزبيرقان بن بدر وعمرو بن

الأختم - دراسة وتحقيق / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط ١ /
١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ م .

- * السيد أحمد الهاشمي / جواهر الأدب / المكتبة التجارية
الكبرى / ط ٢١ / ١٣٨٤ هـ - ١٩٦٤ م .
- * د. شوقي ضيف / العصر الإسلامي / دار المعارف / ط ٧ .
- * د. صلاح الدين الهدى / الأدب في عصر النبوة والراشدين /
مكتبة دار العلوم / القاهرة / ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م .
- * الطبرى / تاريخ الطبرى / ليدن .
- * د. عباس الجراري / من أدب الدعوة الإسلامية / دار
الثقافة / الدار البيضاء / ط ٢ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨١ م .
- * عبد الحليم الحفني / الشعراء المخضرمون / الهيئة المصرية
العامة للكتاب / ١٩٨٣ م .
- * عبد الرحمن البرقوقي / شرح ديوان حسان بن ثابت الأنباري /
المكتبة التجارية الكبرى / القاهرة / ١٣٤٧ هـ - ١٩٢٩ م .
- د. عبد القادر القط / في الشعر الإسلامي والأموي / مكتبة
الشباب / القاهرة / ١٩٨٢ م .
- * عبد الله بن قيس الرقيات / ديوان عبد الله بن قيس
الرقيات / تحقيق د. محمد يوسف نجم / دار صادر ودار بيروت /
١٣٧٨ هـ - ١٩٥٨ م .
- * د. عبد الله عبد الرحيم عسيلان / العباس بن مرداس السلمي
الصحابي الشاعر / دار المريخ / الرياض / ط ١ / ١٣٩٨ هـ -

- * د. عز الدين إسماعيل / المصادر اللغوية والأدبية في التراث العربي / دار النهضة العربية / بيروت / ١٩٧٦ م.
- * العسكري / المصنون في الأدب / تحقيق عبد السلام هارون / الغانجى بالقاهرة ، والرفاعى بالرياض / ط ٢ / ١٤٠٢ هـ - ١٩٨٢ م.
- * د. عفيف عبد الرحمن / معجم الشعراء الجاهليين والمحضرمين / دار العلم / ١٤٠٣ هـ - ١٩٨٣ م.
- * عمر رضا كحالة / الأدب العربي في الجاهلية والإسلام / المطبعة التعاونية / دمشق / ١٣٩٢ هـ - ١٩٧٢ م.
- * د. عمر فروخ / تاريخ الأدب العربي / دار العلم للملائين / بيروت / ط ٤ / ١٩٨١ م.
- * عمرو بن معدىكرب الزبيدي / شعر عمرو بن معدىكرب الزبيدي / جمع وتحقيق مطاع الطرايishi / مجمع اللغة العربية بدمشق / ١٣٩٤ هـ - ١٩٧٤ م.
- * غوستاف فون غرونباوم / دراسات في الأدب العربي / ترجمة د. كمال يازجي / بيروت / ١٩٥٩ م.
- * البرد / الكامل / تحقيق زكي مبارك وأحمد شاكر / البابى الحلبي .
- * د. محمد إبراهيم جمعة / حسان بن ثابت / دار المعارف / ١٩٦٥ م.
- * د. محمد خضر / أدب صدر الإسلام / بيروت / ١٤٠١ هـ -

- * د. محمد طاهر درويش / حسان بن ثابت / دار المعارف / مكتبة الدراسات الأدبية رقم ٤٣ .
- * د. محمد عبد العزيز الكفراوى / الشعر العربى بين الجمود والتطور / دار نهضة مصر / القاهرة / ط ٢ .
- * د. محمد عبد المنعم خفاجى / الحياة الأدبية فى عصر صدر الإسلام / دار الكتاب اللبناني / بيروت .
- * د. محمود حسن أبو ناجى / شعرا، العرب الفرسان فى الجاهلية وصدر الإسلام / مؤسسة علوم القرآن / دمشق وبيروت / ط ١ / ١٤٠٤ هـ - ١٩٨٤ .
- * المرتضى / أمالى المرتضى / تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم / عيسى البابى الحلبي / ط ١ / ١٣٧٢ هـ - ١٩٥٤ م .
- * المرزبانى - معجم الشعرا، / تحقيق عبد الستار أحمد فراج / البابى الحلبي / القاهرة / ١٩٦٠ م .
- * المرزبانى / الموسوع / تحقيق على محمد البحاوى / دار نهضة مصر / القاهرة / ١٩٦٥ م .
- * معن بن أوس المزنى / ديوان معن بن أوس المزنى / صنعة د. نورى حمود القيسى وحاتم صالح الضامن / دار الجاحظ / بغداد / ط ١ / ١٩٧٧ م .
- * نابغة بنى شيبان / ديوان نابغة بنى شيبان / دار الكتب المصرية / ١٣٥١ هـ - ١٩٣٢ م .

- * النابغة الجعدي / ديوان النابغة الجعدي / تحقيق عبد العزيز رباح / المكتب الإسلامي / دمشق / ط ١ / ١٣٨٤ م - ١٩٦٤ م .
- * د. ناصر بن سعد الرشيد / سوق عكاظ في الجاهلية والإسلام / دار الأنصار / القاهرة / ط ١ / ١٣٩٧ م - ١٩٧٧ م .
- * النعمان بن بشير / شعر النعمان بن بشير / تحقيق د. يحيى الجبورى / مطبعة المعارف / بغداد .
- * د. يحيى الجبورى / شعر الخضرمين وأثر الإسلام فيه / مؤسسة الرسالة / بيروت / ط ٢ / ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م .
- * د. يوسف خليف / حياة الشعر في الكوفة / دار الكتاب العربي / القاهرة / ١٩٦٨ م .

* Arabic Literature to the End of the Umayyad Period , Cambridge University Press , 1983 .

* Nicholson . A Literary History of the Arabs , Cambridge University Press , 1979 .



الفهرس

| | |
|-----|---|
| ٣ | - المقدمة |
| ٥ | - حياة النابغة وشخصيته |
| ٢١ | - شعره ومواضيعاته |
| ٥٢ | - تحديد نسبة قصيدة « الحمد لله لا شريك له » |
| ٥٨ | - الرأى فى شعر النابغة |
| ١٠٧ | - السمات الفنية فى شعر النابغة |
| ١٢٣ | - المراجع والمصادر |

مكتبة لسان العرب
www.lisanarab.com

دار النهضة العربية

٣٢ ش عبد الحافظ ثروت - القاهرة